الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم التاريخ

رقم: 1435094767

بعنوان

الخطاب الاجتماعي للكرامة الصوفية في مدونة المناقب الزيانية

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي

إعداد الطالب :

محمد بوزيد

إشراف الأستاذ :

د . الطاهر بونابي

لجنة المناقشة:2019/09/29

د.عبد العزيز شاكي	جامعة المسيلة	رئيسا
د . الطاهر بونابي	جامعة المسيلة	مشرفا
د.بتة مرزوق	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية : 2019/2018م /1440/1439هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع، إلى الوالد

والوالدة حفظهما الله وأمدّ في عمرهما.

MY HOUSE ON WEB
http://www.myhouseonweb.eu/

شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني في انجاز هذا البحث، والشكر والعرفان لكل من أعانني من قريب أو من بعيد طوال فترة البحث، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف: الطاهر بونابي الذي غمرني بجوده و كرمه وتواضعه طوال فترة البحث، فجزاه الله عني خيرا، كما أشكر الأستاذ لخضر بولطيف الذي زودني بالمادة العلمية وبعض النصائح الثمينة - بارك الله في خلقه وعلمه-، كما أتقدم بكل الشكر والعرفان لكل أفراد أسرتي، الذين لم يبخلوا علي بجودهم وكرمهم، وخاصة والدي الحسين بوزيد حفظه الله وعمي أحمد بوزيد واخوتي لوراسي ورشدي والقائمة طويلة..، فقد كانوا المعين الذي لا ينضب طوال مساري الدراسي، فجزاهم الله عني خيرا.

مقدمة

1- أهمية الموضوع وإشكاليته:

شهد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني(633هـ-962هـ/1235م-1555م)، الكثير من الأحداث والتحولات على كافة المستويات، شكل اضطرابا في بنيته الاجتماعية؛ نتيجة الصراعات السياسية والحروب المتكررة، من قبل جيرانهم الحفصيين والمرينين، وكذا نتيجة الأزمات الاجتماعية المختلفة، التي حفل بها العصر الزياني؛ جعلت المجتمع يتأرجح بين ويلات الحروب والحصر، وكل مظاهر التعدي والظلم وجدب السنين والأعوام، ناهيك عن كثرة الأمراض والأوبئة التي ما فتئت تفتك بأرواح البشر بين الفينة والأخرى، وفي ظل غياب شبه الكلي لظل السلطان وكذا غياب مؤسسات الدولة الزيانية لتلبية حاجيات المجتمع، اكتسبت فئة الأولياء بالمغرب الأوسط، مكانة داخل المجتمع لما يشاع عنهم من كرامات وخوارق، وجد فيها الفرد الزياني سلواه التي يستأنس بها أثناء الأزمات والمحن، والملجأ الآمن في فترات الخوف والفزع، من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة تحت عنوان" **الخطاب الاجتماعي للكرامة الصوفية في مدونة المناقب الزيانية**" من منظور أن الخطاب المنقبي وعن طريق الكرامة الصوفية، حمل مشروع الخلاص الاجتماعي وطرح البديل في معالجة أزمات المجتمع.

ينطلق الموضوع من إشكالية رئيسية مفادها : **إلى أي مدى يمكن الاقرار بوجود خطاب اجتماعي في الكرامة الصوفية التي احتوتها مدونة المناقب وليدة الفترة الزيانية؟**

وتتفرع منه عدة إشكالات منها:

- هل كانت الظروف التاريخية للدولة الزيانية وما صاحبها من أزمات على مختلف الأصعدة؛ السياسية والاقتصادية والاجتماعية...، عاملا رئيسا في نمو الكرامة ذات الطابع الاجتماعي وبالتالي عرف هذا الصنف من الكرامة رواجا في المدونة المناقبية وليدة الفترة؟

- هل البنية النصية للكرامة الاجتماعية و مضمونها، يختلف عن النصوص الأخرى؟ أم على النقيض من ذلك يشترك مع بعض الأجناس الأدبية الأخرى؟

- إلى أي مدى يمكن القول بوجود لمسة عقلية أو طابع عقلاني داخل نص الكرامة الاجتماعية؟

- هل يسعى الخطاب الكرامي إلى تحقيق غايات ومقاصد اجتماعية؟ أم هناك استغلال للخطاب الكرامي في بعده الاجتماعي لتحقيق مآرب أخرى؟

2 – مبررات اختيار الموضوع:

بناء على الاشكالات السابقة، فتحت الموضوع للبحث لعدة مبررات أهمها:

- السعي وراء تكوين صورة حول المجتمع الزياني، من خلال مدونة المناقب الزيانية كسد للفراغ الحاصل في مجال البحث التاريخي حول المجتمع، ولما يحتويه هذا الجنس الأدبي من مادة غنية حول مشاكل المجتمع وآماله، وقد جاء هذا المبرر من منطلق ملاحظة الأستاذ الطاهر بونابي في احدى دراساته، وذلك في قوله :" تشكل الكرامة الصوفية أحد أعمدة النص المنقبي، وتعكس شخصيته برمزيتها في التعبير عن مكبوتات المجتمع، فهي مادة دسمة لمعرفة مشاكل المجتمع وآماله..."[1].

- الرغبة في معالجة المواضيع الاجتماعية من خلال المدونات المناقبية، لكونها تحتوي معطيات قيمة حول المجتمع من الداخل؛ حيث اهتمت برصد الوضع الاجتماعي للطبقات الهشة من المجتمع، قلّما نجدها في كتب التاريخ والحوليات العامة، التي ينصبّ اهتمامها عادة حول التاريخ السياسي والتأريخ لسير السلاطين والملوك.

- البحث عن الأسباب التي ساهمت في رواج الكرامة الاجتماعية، وما مدى تأثير الظروف التاريخية التي عاشها مجتمع المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، على ذهنية الفرد حتى أصبح يستكين ويركن للكرامة والخارق التي اضطلع بها أولياء المغرب الأوسط.

[1] **مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**، منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جا معة محمد بوضياف، المسيلة، 2017 م، ص 72.

3 – منهج الدراسة :

فرض موضوع الدراسة الاعتماد على العديد من الآليات التي يستند إليها المنهج التاريخي، حيث عمدت إلى جمع المادة العلمية من مصادرها الأساسية وتوظيف آليات الوصف والاستقراء وتحليل المادة التاريخية وما يتخلله من نقد ومقارنة.

4 – عرض الموضوع :

هيكلنا موضوع البحث وفقا لما توفر لدي من مادة علمية، ووفق ما تعارف عليه في البحوث والدراسات التاريخية من مقدمة وفصول وخاتمة، وقد استهللت الموضوع **بمقدمة** تناولت فيها أهمية الموضوع وإشكالاته، ومنهج البحث مع تحليل لأهم المصادر والمراجع التي أفادت الدراسة، حيث اقتضت طبيعة المادة العلمية التي بحوزتي تقسيم الموضوع إلى ثلاثة فصول.

خصصنا **الفصل الأول** لمعالجة المفاهيم المرتبطة بالموضوع والتي تفرضها منهجية البحث التاريخي، على غرار مفهوم الكرامة عند اللغويين وكذا مفهومها في الاصطلاح، كما حاولنا الوصول إلى مفهوم الكرامة الاجتماعية انطلاقا من اجتهادات وأنظار الباحثين المختصين في مجال البحث المنقبي والكرامات، على غرار ابراهيم القادري بوتشيش ونللي سلامة العامري وكذا الطاهر بونابي...، و تناولنا من خلاله أيضا، الظروف التاريخية التي ساهمت في رواج الكرامة الاجتماعية، ودور الأزمات المختلفة من سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية في نمو الكرامة الاجتماعية، والتي أصبحت ملجأ للطبقات العامة والضعيفة، وبالتالي تلازم الكرامة الاجتماعية مع الأزمات والظروف الصعبة.

في حين خصصنا **الفصل الثاني** للبحث في بنية ومضمون الكرامة الاجتماعية وحاولت الوصول إلى البنية المكونة لنص الكرامة الاجتماعية من خلال، البحث عن الأجناس الأدبية المختلفة التي استطاع نص الكرامة الاجتماعية امتصاص آلياته وأساليب، فتوصلت لوجود آليات الحديث النبوي الشريف، يكون أصحاب المؤلفات المناقبية قد استندوا اليها في نقل رواياتهم الكرامية على غرار؛ الاطار الشفهي، وما يعتمد في نقل الروايات من قرابة

دموية وكذا القرابة المذهبية، والاطار الكتابي وما يعتمد فيه ضبط الأسانيد وذكر أسماء الرواة، كما حاولت البحث في مضمون الكرامة الاجتماعية المبثوثة في "مدونة صلحاء وادي الشلف" للمازوني، فوجدتها تحاكي وتتماهى مع النموذج المثال، فقد نقل المازوني بعض الكرامات عن سابقيه مثل التادلي في كتابه "التشوف" وحاول اسقاطها على أوضاع عصره، كما يلاحظ رواج كرامات الإغاثة ورد الظلم التي اضطلع بها صلحاء وادي الشلف، دليل على الوضع المتأزم وكثرة المظالم ضد المجتمع.

بينما تطرقنا في **الفصل الثالث** إلى القراءة العقلانية لنص الكرامة الاجتماعية، حيث وجدنا أن هناك أصناف من الكرامة الاجتماعية، وضع فيها أصحاب المناقب لمساتهم العقلية على غرار كرامات إنزال الغيث وكرامات ابراء المرضى، وكرامات إغاثة المظلومين، فمثلا؛ طرح أصحاب المناقب كرامات الاستسقاء، ضمن نطاق المنطقة الشمالية الغربية لكونها تقع في ظل تساقط المطر قياسا بحالة الجفاف في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية، وبالمثل تعاملوا مع كرامات ابراء المرضى؛ فلم تقحم قدرة الولي في معالجة الأمراض الوبائية، والتي تخرج عن قدرته واستطاعته، كما تطرقنا لغاية ومقاصد الكرامة الاجتماعية، أين بحثنا في مضمرات الخطاب الكرامي والذي يحمل إلى جانب تحقيق مجتمع متكامل؛ مآرب أصحاب المناقب ومصالحهم.

و**خاتمة الموضوع** تضمنت أبرز النتائج التي توصلت إليها عبر مسارات هذا البحث.

5 – عرض وتحليل لأهم مصادر و مراجع البحث :

على الرغم من أن موضوع الدراسة، يرتكز أساسا على المدونة المنقبية خلال العهد الزياني، إلا انه لم يمنع من استفادتي من المصادر الأخرى من كتب الحوليات والتاريخ العام، كما استفاد البحث من عديد المراجع، وكانت الاستفادة بشكل متفاوت حسب أهميتها للموضوع.

أ - المصادر :

- كتب المناقب :

انصبت الدراسات الحديثة، حول دراسة المدونات المناقبية ومحاولة الاستفادة منها واستغلالها في مجال البحث التاريخي، كونها جنس أدبي وتاريخي في نفس الوقت، وبالرغم من اعتناء أصحابها برصد سيرة الصوفية والصلحاء، إلا أنه يظهر تركيزها على الموقع الاجتماعي للصوفية وفي ابراز أدوارهم وقدراتهم من خلال كراماتهم وخوارقهم في خدمة المجتمع، وقد استفاد البحث من بعض مصنفاتها وأهمها:

- **كتاب المناقب المرزوقية:** لمؤلفه ابن مرزوق أبو عبد الله محمد الخطيب(ت 781هـ/ 1379م) والذي يعد مصدرا رئيسيا في هذا البحث، حيث رصد ابن مرزوق مناقب أفراد أسرته، وانصب تركيزه على جده أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق(681هـ/1282م) ووالده أبي العباس أحمد(ت741هـ/ 1361م)، وترجم لشيوخهما واسهاماتهم في حقل التصوف، وعلى من أن ابن مرزوق سلك في تأليفه على المهم من أخبار مترجميه واسهاماتهم الاجتماعية، والابتعاد عن المغالاة في وصف الكرامة والخارق، إلا أنه لا ينفك بين الحين والآخر، إبراز دور الأولياء داخل المجتمع بتفعيل الكرامة في ايجاد حلول للأزمات من بركة ودعاء..، وقد استفاد منه البحث في هذا الجانب وخاصة ما تعلق بترجمته لجده أبو عبد الله ووالده أبي العباس.

- **أنس الفقير وعز الحقير:** لمؤلفه ابن القنفذ أبو العباس أحمد بن الحسن القسنطيني (ت 810هـ/1407م)، رصد ابن القنفذ نشاط الصوفية وشيوخ الطريقة المدينية، ودورهم في المجتمع واستفاد البحث من صنف الكرامات الاجتماعية، والتي جاء أغلبها حول وقوف الأولياء ضد الظلم والاعتداء على أفراد المجتمع؛ غير أنها جاءت مشحونة بميولاته السياسية ومصالحه الشخصية.

- **صلحاء وادي الشلف:** لمؤلفه أبو عمران موسى بن عيسى بن يحي المازوني(ت833هـ/1429م)، يعد الكتاب موسوعة علمية في التصوف، حيث ترجم من

خلاله المازوني لأولياء وصلحاء وادي الشلف في المرحلة الممتدة من القرن 6هـ/ 12م إلى العقد الثالث من القرن9هـ/15م، وهو ملخص لكتابه "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار"، تكمن استفادة منه في الوقوف على دور الأولياء وكذا دور الحرم، في التخفيف من وطئ الأزمات الاجتماعية، كالأوبئة والمجاعات ورد كل أشكال الظلم والتعدي، بتفعيل الأداء الكرامي.

- **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين** : لمؤلفه ابن صعد محمد بن سعيد التلمساني(ت901هـ/ 1496م)، ترجم ابن صعد لأربعة من أولياء المغرب الأوسط وهم: محمد بن عمر الهواري(ت843هـ/ 1439م)،والشيخ الولي الصالح الحسن أبركان (ت857هـ/1454م) والشيخ ابراهيم التازي (ت866هـ/ 1462م)،والشيخ أحمد الغماري (ت874هـ/1469م)، وعلى غرار هؤلاء الأربعة المشهورين حمل مضمون الكتاب أيضا بعض التراجم لأولياء من المغرب الأوسط ، وقد استفاد البحث من الكتاب، في الوقوف فاعلية الأولياء المترجم لهم في المجتمع من خلال ايجاد حلول للأزمات الاجتماعية والمشاكل عن طريق الكرامة، على غرار ابراء المرضى والوقوف ضد أشكال التعدي والظلم..

- **المواهب القدسية في المناقب السنوسية** : لمؤلفه محمد بن عمر الملالي (كان حي سنة897هـ/1491م)، ألفه خصيصا في فضائل وتصوف شيخه محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1489م)، ويعتبر الكتاب مصدرا مهما في التأريخ للحركة الفكرية والتصوف في بلاد المغرب الأوسط، وقد استفاد منه البحث في الجانب الاجتماعي، من خلال الدور الفاعل الذي اضطلع به الشيخ السنوسي، خدمة لمجتمعه عن طريق الفعل الكرامي، على غرار كرامات الاستسقاء والاستشفاء...

- **كتب التراجم** :

- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** : لمؤلفه ابن مريم أبو عبد الله بن أحمد التلمساني(ت1014هـ/ 1605م) يعد الكتاب موسوعة في التراجم، حيث ترجم لمائة واثنين

وثمانين من أولياء وعلماء تلمسان، وعلى الرغم من المآخذ المسجلة على الكتاب لكونه حافل بالكرامات التي تتجاوز المعقول، إلا أنّ البحث استفاد من كرامات بعض الأولياء المترجم لهم ودورهم الاجتماعي في مدينة تلمسان على غرار حماية المدينة من الحملات المتكررة من قبل الحفصيين والمرينيين.

كتب الحوليات :

- **كتاب العبر وديوان المبتدإ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، لمؤلفه عبد الرحمان ابن خلدون(ت 808هـ/1405م)، استفاد البحث من جزئه (السابع)، في الوقوف على أهم الظروف التاريخية، التي شهدها المغرب الأوسط وكذا انعكاساتها على المجتمع خاصة ما تعلق بالمجاعات والطواعين ووصفه الدقيق لآثارها الوخيمة، كما استفدت من جزئه الأول المعنون بـ **:مقدمة ابن خلدون.**

ب – المراجع :

استفاد البحث من العديد من الدراسات، والتي تناولت أغلبها ظاهرة الولاية والجدلية القائمة بين الولي والمجتمع، وفي مضمونها عالجت دور الأولياء بتفعيل الأداء الكرامي خدمة لمجتمعاتهم وتلبية رغباتهم.

- **عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط** – دراسة في الحركة الصوفية خلال العصر الوسيط من القرن08هـ/14م إلى نهاية القرن 09هـ/ 15م، لمؤلفه الطاهر بونابي، يعد الكتاب مرجعا أساسيا لظاهرة التصوف والولاية في المغرب الأوسط ، حيث استفاد منه البحث من بدايته إلى نهايته، وخاصة ما تعلق بجزئه الرابع الذي عالج الباحث ضمنه، ثنائية الفعل الاجتماعي والحلول الغيبية في نشاط الصوفية، حيث ميّز في نشاط الصوفية ما هو عملي واقعي و ماهو غيبي ووهمي، وأفادتني تصورات الباحث في كيفية التعامل مع النصوص الكرامية وضرورة القراءة الجيدة لمكنون الخطاب الكرامي، كونه يخضع لذاتية أصحاب المناقب ومؤلفيها.

– **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لافريقية في العهد الحفصي،** لمؤلفه ننلي سلامة العامري، يؤرخ الكتاب لظاهرة الولاية خلال العهد لافريقية خلال العهد الحفصي، ويعد من المراجع المهمة في هذا المجال، أفاد الباحث في أخذ تصورات حول صنف الكرامة الاجتماعية وتنميط مواضيعها.

– **أدب المناقب من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي،** لمؤلفه عبد الله بن عتو، يعد الكتاب من المراجع الأساسية في مجال البحث حول بنية النصوص الكرامية بصفة عامة، وقد استفاد منه البحث بشكل كبير في الفصل الثاني للمذكرة، وذلك من خلال اسقاط بعض الآليات الحديثية والأدبية، التي حاولت الكرامة محاكاتها والتماهي معها، على نصوص الكرامة الاجتماعية التي احتوتها مدونة المناقب الزيانية.

6– الصعوبات :

واجهتني في انجاز هذا العمل عدة صعوبات لعلّ أهمها:

أ – حمولة النص المنقبي، كون مؤلفي المناقب ذوو ثقافة موسوعية، ليس من السهل على باحث مبتدئ فهم مقاصد الخطاب وغاياته الحقيقية، وبالتالي صعوبة النص نفسه شكل عائقا أمام الباحث.

ب – قلة الدراسات التي تناولت موضوع الكرامة من منظور اجتماعي، فجلّ الدراسات انصبت حول التفسير السيميائي والتفسير الغيبي للكرامات.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل، للأستاذ المشرف الطاهر بونابي، الذي استفدت من دراساته و تخريجاته حول الكرامة، وكذا ملاحظاته وتوجيهاته القيمة.

الفصل الأول

الدراسة الاجتماعية مفهومها وظروف نموها

المبحث الأول – ماهية الكرامة و الكرامة الاجتماعية:

أولا – لغة :

جاء معنى الكرامة في معجم لسان العرب بمعنى؛ كرم: الكريم: من صفات الله و أسمائه: وهو الكثير الخير، الجواد والكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل.[1]

وجاء في أساس البلاغة، للزمخشري، مادة كرم (ك.ر.م) كرم علينا فلان كرامة وله علينا كرامة، وأكرمه الله، وكرمه وأكرم نفسه بالتقوى وأكرمها عن المعاصي وهو يتكرم عن الشوائن وإنّ أجلّ المكارم اجتناب المحارم، وهم الأطيبون الأكارم، يقال: كارمت فلانا، وفي الحديث إن الذي حرمها حرم أن يكارم بها، وفيه أيضا إذا اتاكم كريمة قوم فأكرموه[2]

ومن هنا؛ فقد جاء معنى الكرامة في المعاجم اللغوية، بمعنى الجامع لأنواع الخير وفضائله، والحامل لصفات التقوى والمجتنب للمعاصي و المحارم.

وأماّ مفهوم الكرامة في المعجم الصوفي، فهو بمعنى: "التكريم والاكرام، والاسم منه الكرامة ...، قال سيبويه: ومما جاء من المصادر على اضمار الفعل المتروك إظهاره، ولكنه في معنى التعجب، قولك كرما، كأنه يقول: أكرمك الله وأدام لك كرما ... ويقال: نعم وحبا وكرامة. والكرامة اسم يوضع للإكرام كما وضعت الطاعة موضع الاطاعة والغارة موضع الاغارة"[3].

---

[1] ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري(ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، تح: عامر أحمد حيدر، عبد المنعم خليل ابراهيم، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ج12/ص 512 .

[2] الزمخشري: **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود،ط1،منشورات دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1998م، ص54.

[3] سعاد الحكيم: **المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة**، ط1، منشورات دندرة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، 1981م، ص961 .

ثانيا – اصطلاحا :

إذا كان مفهوم الكرامة في المعاجم اللغوية، يعني كل أنواع الخير والشرف ومكارم الأخلاق، فإن مفهومها اصطلاحا؛ قد جاء بمعنى خرق العادة وتجاوز مقدرة البشر.

فابن رشد الجدّ (ت520هـ/1126م)، يرى بأن الكرامة هي ما أظهره الله على أيدي أوليائه، من أحوال يتجاوز بها مقدرة البشر وخرقا للعادة، وذلك لطفا بهم وبمن سواهم مما يطلع على ذلك لما فيه من الحث، على طاعته والترغيب في عبادته.[1]

وابن القنفذ(ت810هـ/1408م)، يرى أن الكرامة هي ما يجريه الله على عباده الصالحين، وأوليائه الصادقين، وأعتبر الكرامة شرطا من حصول الولاية، وإنه لا يمكن الاقرار بصدق الكرامة إلا بصحة الولاية، وغير ذلك يحتمل أن تكون من الشيطان[2].

وقد اتخذ كلا من ابن رشد؛ وابن القنفذ؛ موقفا صارما ضدّ منكري الكرامات، واعتبرا ذلك بدعة وضلالة، فابن رشد يصرح قائلا: "إنكار كرامة الأولياء، هي بدعة بثها أهل الزيغ والتعطيل، في نفوس الجهال لإبطال المعجزات من ناحية إبطال كرامات الاولياء"[3].

ويضيف ابن القنفذ، بأنه لا ينكر الكرامة إلا معاند محروم سيئ الاعتقاد كثير الانتقاد[4] واعتبر ذلك من المعاصي، بقوله في البيتين:[5]

عجبت لمن يصر على المعاصي * * * وينكر ما يقول الأوليـاء

---

[1] ابن رشد، محمد بن محمد (الجد) (ت520هـ/1126م) : **فتاوى ابن رشد**، تح: مختار ابن الطاهر تليلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت– لبنان، 1987، ج1/ ص580.

[2] ابن القنفذ، أبو العباس أحمد بن الحسن القسنطيني (ت810هـ/ 1407م) : **أنس الفقير وعز الحقير**، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص03.

[3] ابن رشد، المصدر السابق، ص580.

[4] ابن القنفذ، المصدر السابق، ص 04.

[5] نفسه، ص40.

تقصر عنـهم وتخوض فيـهم * * * فـلا نور لديك ولا ضيـاء

وفي قوله أيضا[1]:

يا من توقف جهلا في كرامتهم * * * حقق وصدق فإنّ القوم قد صدقوا

لا يستوي متـأنّ في بطـالته * * * وحازم نحو باب القرب منطلق.

وبهذا أثار فقهاء العصر الوسيط؛ وكذلك المتصوفة، مسألة الكرامة وخاضوا في غمار الجدل الذي وقع بين مؤيد ومنكر لها، وهذا يؤكد حضورها؛ كمعطى تاريخي اجتماعي[2].

ثالثا– مفهوم الكرامة الاجتماعية:

تمثل الكرامة في بعدها الاجتماعي؛ تلك الفاعلية التي لعبها الولي في مناحي الحياة المتصلة بشؤون المجتمع، وخاصة ما شمل الحياة المادية من أمور معيشية وأمنية، متمثلة في إشفاء المرضى، إطعام الطعام، جلب الغيث، والاقتصاص من ظالم...[3]، متخذا من سلاح الكرامة وكل أنواع الخارق ديدنه، وذلك في سبيل تحقيق غايات وآمال المجتمع التي يصبو إليها، مناهضة ومرافعة لصالح الفئات الاجتماعية المغلوب عن أمرها، جراء الظلم الذي تعيشه، لذلك ليس من قبيل الصدفة أن تجد كرامات مشحونة بدلالات سياسية، تعكس أصناف القهر

---

[1] نفسه، ص90.

[2] بوتشيش ابراهيم القادري: **تاريخ الغرب الاسلامي– قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**،ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، 1994، ص109.

[3] نللي سلامة العامري: **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإ فريفية في العهد الحفصي**، ط2، دار الفارابي، بيروت– لبنان، 2006، ص310–311.

والظلم الاجتماعي المسلط على العامة من قبل السلاطين والعمال وشيوخ القبائل واللصوص الخارجين من هذا النسيج المتسلط[1].

وبذلك فالكرامة هي في واقع الأمر إفراز لظروف تاريخية صعبة سقطت بظلالها على النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمجتمع المغرب الأوسط، كغيره من المجتمعات الإسلامية[2]، وبذلك ينفي "القادري بوتشيش"، أن تكون الكرامة مجرد قطاع فكري وسلوكي وثيق الارتباط بقوى غيبية[3]، بل تعتبر الكرامة صورة عاكسة للتوترات الاجتماعية ومشكلات المجتمع وظروفه الصعبة[4]، وهي تعتبر حلولا للظواهر الاجتماعية والاقتصادية المترتبة عنها كالمجاعات، ومقاومة سياسة الضرائب، وغيرها...وهي تندرج ضمن سياق تاريخي يحاول أن يثبت واقعيتها وحقيقتها كحدث تاريخي[5]، ويمكن القول بأن الكرامة الاجتماعية؛ هي دراسة الوضع الاجتماعي من الداخل، فهي تعمل على تعرية الواقع ومحاسبته وإدانته، بل ذهبت إلى حدّ طرح بديل للأزمة[6]، لكونها ترصد آمال وتطلعات الفئات الاجتماعية التي ترغب

---

[1] بونابي الطاهر: **عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط- دراسة في الحركة الصوفية خلال العصر الوسيط، من القرن 08هـ/14م إلى نهاية القرن 09 هـ/15م**، منشورات كلية العلوم الانسانية، جامعة المسيلة ، الجزائر،2017، ص 819.

[2] بونابي الطاهر: **التصوف في الجزائر خلال القرنين6 و7الهجريين/12 و13الميلاديين-نشأته- تياراته- دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2004م، ص177.

[3] بوتشيش ابراهيم القادري: " **الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصر المرابطين والموحدين"، ضمن كتاب جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطية في العصر الوسيط**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة مولاي اسماعيل، مكناس- المغرب، 1991، ص97.

[4] زيعور علي: **الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم- القطاع اللا واعي في الذات العربية**- ط02،دار الأندلس للنشر والطبع والتوزيع، بيروت- لبنان، 1984،ص 168.

[5] لدرع أمال: "**الخطاب المنقبي وصياغة الحدث التاريخي "غياب الأمن" غزو تلمسان وحصاراتها خلال العهد الزياني أنموذجا** "، مجلة منتدى الأستاذ، العدد الثامن عشر، المدرسة العليا للأساتذة- قسنطينة، 2016م، ص 166.

[6] بوتشيش : **تاريخ الغرب الاسلامي**، ص 106.

دائما ووفق الخطاب الكرامي، التخلص من حياة البؤس والظلم والحرمان، كما تطمح إلى مجتمع يسوده التضامن والإخاء، مجتمع لا يجوع ولا يتوجّسه الخوف والفزع.

المبحث الثاني-الظروف التاريخية والسياق العام لنمو الكرامة الاجتماعية خلال العهد الزياني:

إنّ كرامات الأولياء، هي في الغالب افراز لمرحلة ظلامية، تنفجر فيها الأزمة[1]، ولذلك ليس من قبيل الصدفة أن تكون المدونة المناقبية[2]، التي استقينا منها معلومات هذا البحث، هي وليدة مرحلة صعبة مرّبها المغرب الأوسط ، "فقد عرفت حركة التأليف في مناقب الأولياء نموا متسارعا بعد سقوط دولة الموحدين نتيجة التحول السياسي والمذهبي والاجتماعي الذي شهده المغرب المغرب الاسلامي وعجز القوة الصاعدة الحفصيين والزيانيين ، والمرينيين من اقرار الأمن..، فساد الخوف في المجتمع المغربي الذي أخذ يتطلع إلى الخارق المتمثل في الصوفي المنتج للكرامة"[3]. مسّت الأزمة جميع الأصعدة والمستويات، نتج عنها حالة اللا أمن داخل المجتمع الزياني، وان تخللتها بعض فترات الأمن والاستقرار، وبالتالي كان من الضروري دراسة الكرامة الاجتماعية، ضمن سياقها التاريخي العام، والظروف المنتجة لها، حتى يتسنى لنا تحديد سماتها الأساسية.

أولا- الأزمات السياسية والصراعات الحربية:

تميز العصر الزياني (633هـ-962هـ/1235م-1555م)، بكثرة الحروب والأزمات

---

[1] بوتشيش ابراهيم القادري: **الإسلام السري في المغرب العربي**، ط1،سينا للنشر، القاهرة-جمهورية مصر العربية،1995، ص135.

[2] المناقب تعني؛ الكتابات النثرية التي حكت كرم الفعل لدى شريحة الزهاد والصوفية والصلحاء والأولياء، وصورت الشخصية الدينية داخل النص كشريحة كارزماتية تنتصر على مختلف القوة التي تمثل الخوف والشر. ينظر؛ أحمد توفيق: **تاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى**، الملتقى الدراسي، الرباط 08- 09أفريل 1988م، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطبعة عكاظ، 1989، ص82.

[3] بونابي الطاهر: "**أهمية المخطوطات المناقبية في كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي والفكري للمغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، 2004-2005، ص 93.

السياسية ، نتيجة صراع مرير مع القوى الخارجية، التي كانت تعمل لأجل السيطرة على الدولة الزيانية[1]، فالحروب آفة كانت تفتك بأعداد كبيرة من السكان، فقد تنشب الحروب من حين لآخر بين دولة بني زيان وجارتيها الحفصية والمرينية، في أغلب الأحيان، فهؤلاء لم يرضوا بوجود الدولة الزيانية على أرض المغرب الأوسط[2]، وعبثا سيحاول الحفصيون والمرينيون، إعادة توحيد المغرب تحت امرة كل منهما، معتبرين بذلك أنفسهم، الوريث الشرعي للحركة الموحدية[3]، وذلك لا يكون إلا بشن حروب وإراقة للدماء، ونصب العداء للدولة الزيانية، أين وضعت مملكة بني زيان بين كفي كماشة، تتوالى عليها الغارات شرقا وغربا- ولربما هذا من تركات الجغرافيا- وكان وطئ هذه الصراعات والحروب، شديد على انسان المغرب الأوسط في العهد الزياني، لما كانت تخلفه من حالة الخوف والرعب، كان لها انعكاسا كبيرا على ذهنية المجتمع وتغيير في نمط تفكيره وسلوكياته.

1- الصراع الحفصي الزياني :

في ظل رغبة الحفصيين في توحيد بلاد المغرب تحت رايتهم[4]،استهل السلطان ابي زكرياء مشروعه، بأول حملة سيرها إلى تلمسان لإخضاع سلطانها يغمراسن، سنة 640هـ/1242م، أسفرت الحملة عن اقتحام جيوش الحفصيين مدينة تلمسان، وفرار السلطان الزياني يغمراسن نحو الصحراء، بعد عجزه عن ردّ الحملة الحفصية، بينما عاثت جيوش الحفصيين فسادا

[1] حساني مختار: **تاريخ الدولة الزيانية-الأحوال السياسية-** منشورات الحضارة، بئر توتة- الجزائر، 2009م، ج01/ص05.

[2] فيلالي عبد العزيز: **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط** ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2014م، ص 129.

[3] نللي سلامة العامري : المرجع سابق، ص 50.

[4] حساني مختار : المرجع سابق، ص9.

داخل البلد، وقد وصف ابن خلدون(ت 808هـ/1405م)، ذلك بقوله :"فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان واكتساح الأموال".[1]

ومن أشهر الحملات العسكرية الحفصية على الدولة الزيانية خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، الحملة التي شنها الحفصيون على المغرب الأوسط، سنة (732هـ/1331م)، كان الصراع فيها يدور حول مدينة بجاية، وجدت السلطة الحفصية دعما من الطرف المريني، وقد نزلوا فيها تخريبا، وتوسعت فيها أيدي النهب والقتل على حد قول "ابن خلدون"[2]

بينما شهد القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، تدخلات متتالية للحفصيين في الشؤون السياسية للدولة الزيانية، ومحاصرة العاصمة تلمسان عدّة مرات، ومن ذلك الحصار الشديد الذي ضربه السلطان الحفصي أبي فارس(797هـ-837هـ/1394م-1433م)على تلمسان سنة831 هـ/1430م[3]، أين استطاع اقتحام المدينة، وقام عند ذلك بتعيين أبي محمد عبد الواحد ،على ملك بني زيان(831هـ-833هـ/1430م-1432م)، بدل ابن اخيه محمد بن ابي تاشفين المعروف "بابن الحمراء"، ولكن هذا الأخير استطاع أن يجمع حوله القبائل، ويستولي على الحكم بقتل عمه أبا مالك سنة(833هـ/1429م)[4]، كما عرفت تلمسان غزوا آخر، من طرف الحفصيين وذلك سنة 871هـ/1466م، تعرضت خلاله المدينة لحصار

---

[1] ابن خلدون، أبوزيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م): **العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت-لبنان،2000، ج108/7.

[2] ابن خلدون :العبر، ج7/ص145.

[3] التنسي، محمد بن عبد الله : **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص245.

[4] الزركشي، أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم : **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تح: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس،1966،ص129.

شديد ومعارك طاحنة بين الجيشين، انتهت بتوسط قضاة المدينة وكبارها، لدى السلطان الحفصي أبي زكريا يحي، أين شهدوا له بالبيعة مقابل ايقاف الحرب والعفو على أهلها.[1]

وقد ظلت أوضاع الدولة الزيانية على هذه الحالة، تخضع للنفوذ الحفصي وهيمنة سلاطينهم عليها،[2] يغيّرون سلاطينها متى أحسوا بتقلص مصالحهم أو قويت شوكة بني زيان، وبهذا تكون الدولة الزيانية، قد فقدت سيادتها وسيطرتها على بلاد المغرب الأوسط بشكل شبه المطلق، هذه الظروف الخطيرة جعلت انسان المغرب الاوسط أثناء هذه المرحلة، يعيش الرعب ويترقب الخطر المحدق من الشرق في كل لحظة وحين.

2 – الصراع المريني الزياني:

كان الصراع المريني الزياني أشدّ وأنكى على الدولة الزيانية، مقارنة مع الصراع الحفصي الزياني، حيث كان يطمح المرينيين بتوحيد المغرب الكبير تحت رايتهم ونفوذهم[3]، وتنهض الحملات المتكررة على عاصمة بني زيان وأراضيهم، دليلا على ذلك، فالسلطان المريني يوسف ابي يعقوب حكم ما بين(635هـ–706هـ/1237م–1275م)، قاد بنفسه خمس حملات عسكرية ضد الدولة الزيانية، حاول من خلالها اقتحام عاصمة الزيانيين تلمسان، وانتهت جلّ حملاته بإلحاق خسائر بشرية ومادية، ناهيك عن تخريب المدن والقرى.

وكانت أول هذه الحملات، سنة (689هـ/1275م)، ضرب المرينيين حصارا شديدا على تلمسان، نصبوا خلالها المجانيق لضرب أسوارها وضيقوا على الأهالي أيّما تضييق، وتوالت بعدها الحملات في عهد السلطان أبي يعقوب ومنها:(حملة 695هـ–1281م)، (حملة 696هـ–1282م)، (حملة سنة 697هـ–1283م)، ولعلّ أخطر حملة شهدتها الدولة الزيانية

---

[1] الزركشي: نفسه، ص 157–158.

[2] فيلالي عبد العزيز: **تلمسان في العهد الزياني– الأوضاع الداخلية للدولة الزيانية**، موفم للنشر والتوبع– الجزائر، 2002، ج01/ص73.

[3] فيلالي: نفسه، ج01/ ص 27.

هي حملة "الحصار الطويل" الذي امتدّ من سنة(698هـ-707هـ/1299م-1307م)[1]، بلغ حصار العاصمة تلمسان، ما مقداره تسع سنين على حدّ قول" ابن مرزوق الخطيب"[2]، ضيّق من خلالها المرينيين على أهل تلمسان، كما أحكموا سيطرتهم على منافذ التجارة الساحلية المجاورة لمدن المغرب الأوسط مثل، مازونة، مستغانم، ومليانة[3].

وبالرغم من أن أهل تلمسان، استطاعوا الصمود أمام هذا الحصار الطويل، الذي شبهه أحد الباحثين بـ"حصار طروادة"، بقوله :"..وأصبحت بحق طروادة الجزائر التي لا تقهر عكس طروادة الإغريق التي قهرت بعد عشر سنوات من الحصار. إن طروادة تلمسان قاومت الغزو ثماني سنين وخرجت منتصرة مظفرة"[4]، إلا أن نتائجه كانت وخيمة على الشريحة الاجتماعية، حيث عانت الأمرين، الجوع والخوف، وقد وصف "عبد الرحمن ابن خلدون"(ت808هـ/1405م)، وضع أهل تلمسان من جراء هذا الحصار، بأبلغ تعبير بقوله :"..نالهم فيها من الجهد مالم تنله أمّة من الأمم وأظطروا إلى أكل الجيف والقطوط والفئران، حتى أنهم زعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس...واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضاقت أحوالهم"[5]، ولنا أن نتصور وقع هذه الحروب والحصر في نفوس السكان، رعب دائم ومجاعة مرتقبة.

اذن تلك هي الصورة السوداوية، التي طبعت المشهد العام، نهاية القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، إلا أن القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، شهد هو الآخر

---

[1] ابن خلدون :**العبر، ج7**/ ص 125-127.

[2] ابن مرزوق الخطيب، أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني(ت 781هـ/1379م): **المناقب المرزوقية**، تح :سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة الغربية، ص194.

[3] ابن خلدون:**العبر**،ج7/292.

[4] بوعزيز يحي :"**المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية (1236م/1554م)**"،**مجلة الأصالة**،ع26-40،منشورات وزراة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، د.ت، ص10.

[5] ابن خلدون :**العبر**،ج7/ص128.

حروبا أكثر وأشدّ شراسة، قادها بني مرين على مملكة بني زيان، كان من جرائها أن فقدت الدولة الزيانية، سلطتها المركزية مرتين، الأولى من سنة(737هـ إلى749هـ/1335م-1348م)، والثانية من سنة(753هـ إلى760هـ/1352م-1359م)[1]، اختفى من خلالها رسم الدولة الزيانية، وزال نفوذهم وحل محلهم بني مرين في تسيير شؤون المغرب الأوسط[2]، ردحا من الزمن ليس بالهين مطلقا، مع ما ينجر عليه من افرازات خطيرة خاصة على المستوى الإجتماعي، أين سيعاني الفرد الزياني الجور والظلم والحرمان...

ثانيا - الصراعات الداخلية وغياب الأمن:

لم تكن الصراعات الخارجية للدولة الزيانية، مع جيرانها الحفصيين والمرينيين، العامل الوحيد لحالة الفوضى وغياب الأمن داخل مملكة بني زيان، فكذلك الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الزيانية التي طبعت المرحلة الأخيرة من العصر الزياني، ساهمت بشكل كبير في الوضع المتأزم الذي آلت اليه المملكة، فهذه الصراعات أحدثت شبه الفراغ السياسي، الذي استغله شيوخ القبائل العربية الذين حاولوا بدورهم ملئ فراغ غياب السلطة، وزد على ذلك انتشار قطاع الطرق واللصوصية، والتي اصبحت تهدد خطرا على المجتمع الزياني، نتيجة تقلص ظل السلطان واصبح لا يتجاوز أسوار المدن في غالب الأحيان.

ولعلّ من أبرز صراعات افراد البيت الزياني حول السلطة والحكم، الصراع الذي نشب بين السلطان أبي تاشفين وأبيه ابي حمو الثاني ابتداء من سنة (788هـ/1378م)، وما تخلله من اجتياح مريني على مدينة تلمسان وباقي المناطق الزيانية المجاورة مداّ وجزرّا[3]، ومن ذلك

---

[1] بونابي : **مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**، المرجع السابق،2017، ص14.

[2] فيلالي : **تلمسان في العهد الزياني**، ج1/ص47.

[3] ابن خلدون : **العبر**، ج7/ ص 479-481.

أيضا: خروج أبي محمد عبد الله[1]، وثورته على أخيه السلطان أبي زيان محمد الثاني سنة (801هـ/1398م) وبمساندة من بني مرين وبعض القبائل، استطاع الاطاحة بحكم أخيه والاستلاء على السلطة[2]، ومن ذلك أيضا : ثورة محمد بن الحمراء[3]، على السلطان أبي مالك عبد الواحد[4] سنة 827هـ-1424م، وتوليه الحكم بدله حتى سنة 831هـ/1427م، ثم لم يلبث أن أزيح من الحكم من قبل الأول بعد نجاحه في استرجاع ملكه في نفس السنة، واستمر الصراع بينهم حتى تمكن ابن الحمراء من جديد بالاستيلاء على الحكم ، وقتل ابي مالك عبد الواحد سنة 833هـ/1429م، لكن ابن الحمراء، لم يهنأ بملكه طويلا، حيث دامت فترة حكمه الأخير أربعة وثمانين يوما فقط، حتى نهض السلطان الحفصي ابي فارس وحرك حملته اتجاه تلمسان، وعين مكانه السلطان أحمد العاقل حكم(834هـ866هـ/1430م-1462م)[5].

والملفت للانتباه، أن هذه الفتن والاضطرابات السياسية قد منحت الجو الملائم، لشيوخ القبائل العربية لتأكيد حضورها السياسي، وهذا ما نبّه إليه الباحث اسماعيل بركات حيث يرى أن أسباب الشرخ الكبير الذي حصل للبنية السياسية، كان بفعل تنامي سلطة شيوخ القبائل وذلك في قوله :"إلا أننا نجد أكثر الأسباب المساهمة في إحداث شرخ كبير للبنية السياسية،

---

[1] السلطان الثاني عشر من سلاطين بني زيان حكم ما بين(801هـ-804هـ/1398-1401م)، التنسي : المصدر السابق، ص227- 230.

[2] التنسي: نفسه، ص228.

[3] السلطان الزياني السادس عشر حكم(827هـ-831هـ/1424م-1427م)، التنسي: نفسه، ص241.

[4] السلطان الزياني السابع عشر، حكم(831هـ-833هـ/1427م-1429م)،استطاع استرجاع ملكه من ابن الحمراء سنة،831هـ/1427م، بمساندة قدمها له الحفصيون، قام خلالها من حصار تلمسان وفي هذا يقول التنسي :"فحصرت تلمسان حصارا قويا.." للمزيد ينظر: التنسي، نفسه، ص 244-245.

[5] التنسي: نفسه، ص246-247.

المعارضة السياسية الممثلة في شيوخ القبائل، فقد أتاحت لهم الفتن والاضطرابات امتلاك سياسة الدولة"[1]، ومن القرائن الدالة على ما ذهب إليه، ما نقله التنسي من نماذج حية.

يتعلق الأول: بأبي العباس أحمد العاقل(834هـ-866هـ/1431م-1462م)، قال عنه التنسي:"واستولى المتغلبون على الأوطان، وكثر الثوار من الزيانيين والعربان"[2]، وعن مبايعته يقول :"وبايعه موسى بن محمد، وعبد الله بن عثمان، وسليمان بن موسى"[3]، ولعلّ هؤلاء من كبار شيوخ القبائل العربية.

أما الثاني: فيمثله أبوعبد الله محمد المستعين، قال التنسي في شأن سيرته :"فلما وصل الوطن بايعه أولاد بليل، ثم بايعه ملّيكش، ثم بن عمر بن موسى، ثم جمهور الثعالبة، ثم حصين"[4].

والثالث: في حركة أبي عبد الله المتوكل(866هـ-873هـ/1462م-1468م)، يقول التّنسي:"ولما كانت سنة ستّ وستّين، نهض مولانا المتوكل من مليانة[5] متوجها إلى المغرب، المغرب، فاستولى على وطن بني راشد، ثم على هوارة، ثم افتتح مستغانم، وتمزغران، ثم عمد إلى وهران فافتتحها، ثم توجه إلى تلمسان، فأقام عليها يومين، ودخلها في الثالث، وهو يوم الإثنين، أول يوم جمادى الأولى من السنة المذكورة"[6]، وهذه الحركة تؤكد على أن أغلب

---

[1] بركات، اسماعيل: **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، دراسة وتحقيق: الجزء الأول، من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري-قسنطينة، 2009- 2010م، ص19.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص 248.

[3] نفسه، ص 249.

[4] نفسه، ص 250-251.

[5] **مليانة** : بالكسر ثم السكون، وياء تحتها نقطتان، خفيفة، وبعد الألف نون :مدينة في آخر إفريقية، من مدن المغرب الأوسط، بناها الرومان، وجددها زيري بن مناد، بينها وبين تنس أربعة أيام، ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين محمد بن عبد الله (ت 626هـ/1228م): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت-لبنان، 1397هـ/1977م،ج5/ص196.

[6] التنسي: المصدر السابق، ص 254.

القبائل، لم تكن تابعة للدولة[1]، أو على الأقل لم تكن خاضعة لسلطتها وتسير شؤنها بنفسها وهذا ان دلّ على شيئ، فإنما يدل على تقلص ظل السلطان الزياني وتنامي الطرف الآخر ممثلا في القبائل العربية، وربما أخطر أزمة هددت أمن البلاد، تمثل في تمرد قبائل غرب تلمسان، بني راشد، عرب بن سويد، وبن يعقوب والذواودة، الذين تآمروا مع الحفصيين على السلطان الزياني المتوكل، الذي أعلن انفصاله على السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان (ت893هـ/1492م)،الذي جهز حملة سنة(866هـ/1465م) انتهت بوساطة علماء تلمسان منهم، أحمد بن حسن الغماري، و الفيقه القاضي العقباني محمد بن أحمد، حملوا لواء السمع الطاعة ودفع الجزية للسلطان الحفصي[2].

وما في الأمر من الخطورة، أن تنامي نفوذ القبائل العربية، أصبح يهدد أمن البلاد و العباد، فأصبح الفرد الزياني يرقب الخطر في كل حين ولحظة، ولعلّ ما نستشفه من خلال نازلة نقلها الونشريسي، طرحت على الفقيه ابن عرفة (ت 803هـ/1401م) [3] لأبلغ وصف للحالة التي آلت إليها الأوضاع داخل مملكة بني زيان، فقد جاء في النازلة، أنّ قبائل من بني عامر وغيرهم من قطاع الطرق، يبلغ عددهم ما بين فارسها وراجلها، قدر عشرة آلاف أو يزيد، لا يمتهنون سوى شنّ الغارات وقطع الطرق على المساكين وسفك دمائهم وانتهاب أموالهم بغير حقّ، ومع ذلك لا تنالهم أحكام السلطان أو نوابه، بل ضعف عن مقاومتهم فضلا عن ردعهم[4].

---

[1] بركات اسماعيل، المرجع السابق، ص20.

[2] ابن خليل: نقلا عن: طاهر منزل، المرجع السابق، ص 36-37.

[3] ينظر ترجمته: التّنبكتي، أحمد بابا(ت 963هـ/1036م) : **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، اشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية العلوم الاسلامية ، طرابلس – ليبيا، 1398هـ-1989م، 463-471.

[4] الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي(ت 914هـ):**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أشرف على تحقيقه: محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية للمملكة المغربية،1401هـ/1981م،ج2/436.

فكان جواب الفقيه بوجوب مجاهدتهم، واعتبر ذلك أولى من مجاهدة الكفار[1]بل وصل الأمر بالسلطان أن أصبح يداري هؤلاء بالعطايا والهدايا، لعلّهم يكفون أيديهم عن المساس بدولته، وذلك ما ورد في الشطر الأخير من النازلة بقول السائل:"... بل إنّما يداريهم بالعطايا والأنعام ببعض بلاد رعيته ونصب عمالهم فيها وقطع نظر عمال السلطة على النظر في جبايتها.."[2]، وهذا الوضع الكارثي الذي أصبحت تعيشه مؤسسات الدولة الزيانية، شكّل واقعا متأزما وسط المجتمع؛ استغله قطاع الطرق وشيوخ القبائل.

ثالثا: الظروف الاقتصادية والاجتماعية خلال العهد الزياني :

1 – الظروف الاقتصادية:

ترتبط الحالة الاقتصادية، بالوضع السياسي والأمني، فكلما كانت الدولة مستقرة، كان نظامها الاقتصادي أكثر تطورا ورقيّا[3]، والأمر البيّن أن ما أصاب الحياة الاقتصادية خلال العهد الزياني من تدهور وانهيار للبنية الاقتصادية؛ كان مرده عدم الاستقرار السياسي والأمني، فالحروب الطويلة التي ظلت قائمة بين الدول المغاربية الثلاث، أدت إلى تقلص الانتاج وحتى تحطيم مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية، من حرق الزروع وردم الآبار وعيون المياه...

فقد تضررت الزراعة جراء الحروب والحصارات المتكررة، ولنا من القرائن ما يؤيد ذلك، فالحملة المرينية التي قادها السلطان المريني أبي يعقوب سنة(670هـ/1272م)،وحصاره للعاصمة تلمسان، استغلت قبائل توجين على اثرها– كانت مناوئة للسلطة السياسية– الظرف الطارئ وراحت تثأر من السلطان يغمراسن بتخريب المنشئات الاقتصادية وفي ذلك يقول

---

[1] الونشريسي: نفسه ، ص437.

[2] الونشريسي: نفسه، ص437.

[3] حساني مختار: **تاريخ الدولة الزيانية– الأحوال الاقتصادية والثقافية** – منشورات الحضارة، بئر توتة – الجزائر،2009م،ج02/ص11.

"ابن أبي زرع":" فقطعوا الثمار والجنات وخربوا الرباع وأفسدوا الزرع وحرّقوا القرى والضياع حتى لم يدعوا بتلك النواحي قوت يوم حاشى السدرة والدوم "[1]، ناهيك على غلاء الأسعار الذي يطرأ على السلع الأساسية، بما تجاوز قيمته في الحالات العادية، من جراء الحصار الطويل وشدّة الخناق على المدن، ومن ذلك الحصار الطويل الذي شهدته مدينة تلمسان سنة (698هـ/1299م) :"فكان ثمن مكيال القمح الذي يسمونه البرشالة ويتبايعون به مقداره اثني عشر رطلا، نصف مثقالين ونصف من الذهب العين، وثمن الشخص الواحد من البقر ستين مثقالا، ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصفا، وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمن المثقال..."[2] ومن جراء هذه الضائقة الإقتصادية وأزمة الجوع، التي أصابت أهل تلمسان وما جاورها من القرى والبوادي، اضطروا إلى أكل الجيف والقطوط والفيران، بل زعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس[3]، وقد أشار "الحسن الوزان" (كان حيا سنة 957هـ/1550م)، إلى أن الأراضي التي كانت تحيط بقصر تمزيزدكت[4] ، أراضي جيدة كانت تزرع فيها حاجيات السكان لما كان خاضعا لملك تلمسان، ولكن لماّ سقط بأيدي الأعراب، فإنه تحول إلى شبه إصطبل يدخرون فيه أغراضهم وجراء تعسفهم هجر السكان تلك الأراضي، هربا بأرواحهم[5]، فلا غرابة اذن أن نعتبر ضعف البنية الاقتصادية للدولة الزيانية نخرت مفاصله الرئيسية؛ حيث خرّب أكبر مورد للاقتصاد وهو الزراعة، من خلال

---

[1] ابن أبي زرع، علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي عمر الفاسي(توفي في النصف الأول من ق:8هـ/14م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 ، ص 310–311، ينظر أيضا: الوزان، الحسن بن محمد الفاسي: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط02، دار الغرب الاسلامي، بيروت– لبنان، 1983م، ج02/ص 28.

[2] ابن خلدون: **العبر**، ج07/ص 128.

[3] نفسه، ج07/ ص128.

[4] **تمزيز دكت:** ما يزال بربر القبائل بالجزائر يطلقون اسم تمزيز دكت – ومعناه المصفاة في لغتهم– على تكلت، وهي عبارة عن أنقاض المستعمرة الرومانية القديمة تبسكتو قرب بجاية. للمزيد ، ينظر: الوزان ، المصدر السابق، ج02/ ص 11، هامش رقم:10.

[5] الوزان: نفسه، ص 11– 12.

هجر الفلاحين وسكان البوادي أراضيهم، نتيجة تسلط الأعراب وشيوخ القبائل. كما أنه لا يمكن أن نردّ انهيار الزراعة لأسباب بشرية فقط؛ فكذلك للطبيعة دور في ذلك، فقد شهد العصر الزياني العديد من الكوارث الطبيعية من بينها القحوط والأعاصير القوية، ومن ذلك هبوب رياح ذات إعصار قوي، أهلك الزرع والحيوانات[1]، كان من جراء ذلك حدوث مجاعة عظيمة بالمغرب وعمّ الخراب سنة (776هـ/1374م)[2].

وأمّا السبب الذي أدّى إلى تقلص التجارة الداخلية، ما بين مدن المغرب الأوسط على العهد الزياني وبين مختلف المدن المغاربية، هو تدهور الحالة الاقتصادية للدولة الزيانية، بانتشار اللصوصية وقطاع الطرق على ملتقى طرق القوافل التجارية وكدليل على ذلك؛ أصبح ملاك القوافل يدفعون إتاوات ضخمة مقابل سلامتها وأمنها[3]، وكذلك ما ذكره ابن مزوق الخطيب(ت 781هـ/1379م) عن خراب لمراكز تجارية كانت تعج بالبضائع ومنها تجارة الصوف، بقوله :" إنّ الموضع المعروف الآن بمسجد إيلان، وهو اليوم داخل الربض، كان يطلع منه كل يوم حمل للبضع، من عمل الصوف، وهذا موضع من آحاد المواضع، فانظر هل تجد اليوم في ذلك الموضع، أو ما يجاورهم عمارا، أو في البلد كلّها ما يشترى به بأقل عدد. فسبحان مبيد الجميع"[4].

وتعتبر العملة الركيزة الأساسية في المبادلات التجارية، وقوة الاقتصاد تكمن في قوة عملته وفسادها يعني انهيار الاقتصاد، وقد أصاب الاقتصاد الزياني شلل بفعل ظاهرة العملة المغشوشة، أو "المصيبة " كماعبّر عنها الفقيه العقباني(ت 871هـ/1466م)،حيث يقول :"..إنّ فساد سكّة المسلمين وغشّ دراهمهم قد عمّ وقوعه بهذه البلاد المغربية بأسرها، ولم يقع

---

[1] ابن خلدون، أبو زكرياء يحي (ت 780هـ/1378م): **بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ج02/ص 575.

[2] ابن القنفد: المصدر السابق، ص 105.

[3] الوزان، المصدر السابق، ج01/ ص 370.

[4] ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص190.

لذلك حسم ولا إزالة حتى كادت رؤوس أموال الناس تنقرض من أيديهم بغلاء الأسعار في كل شيئ لطي العدد في المبيعات بالزيوف عن قيم العدل حتى في الأكرية والاستئجار"[1] وعبّر عن هذه الظاهرة الخطيرة استنادا إلى قوله تعالى:(**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**)[2]، والتي نستحضرها أثناء المصائب ووقوع البلاء الشديد.

2 – الظروف الاجتماعية :

يعزى تكاثر أشكال الكرامة الاجتماعية خلال العهد الزياني بشكل كبير، إلى الوضع الصحي الذي آلت اليه مؤسسات الدولة الزيانية في مراحل كثيرة من تاريخها، والتي لم تكن قادرة على معالجة قضايا المجتمع وأزماته، بحيث كانت أحد أبرز الدوافع التي أدت إلى بروز الكرامة وانتشارها كوسيلة لمعالجة مختلف المسائل الاجتماعية العويصة[3]،

فعلى المستوى الاجتماعي برزت الفوارق الطبقية بين الفئة الحاكمة لزمام السلطة ورجال المال وكبار التجار وغيرهم...، في حين ظلت فئة اخرى معدمة وهي طبقة العامة والمعوزين، التي سقطت عليها كل أنواع الظلم الجبائي، وانتشار اللصوصية وقطاع الطرق، وانتشار الفقر وتدهور المستوى المعيشي، وانتشار الأوبئة والامراض...

ولعلّ أبرز مظاهر الأزمة الاجتماعية، كثرة المجاعات التي شكلت الهاجس الأكبر الذي ظلّ يلاحق انسان المغرب الأوسط طيلة العهد الزياني، واصبح يهدد حياته كل حين[4]؛ وبالرغم من أن أسباب الظاهرة متعدد بين طبيعية وبشرية وغيرها، إلا أن النتائج واحدة

---

[1] العقباني، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني(ت 871هـ/1467م): **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تح: علي الشنوفي، المعهد الفرنسي، دمشق، 1967، ص 105.

[2] سورة البقرة، الآية: 155.

[3] بونابي :**عصر المتصوفة**، ج4/ ص 808.

[4] بلعربي خالد: " **المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698هـ-845هـ/1299م-1307م)**"، دورية كان التاريخية ، العدد الرابع، يونيو، 2000، ص20.

حسب ما فصّل فيه ابن خلدون(ت808هـ/1405م) بقوله:" أما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة، فيقل احتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها ...إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات.."[1]، وبهذا يكون ابن خلدون، قد أعطى تفسيرا منطقيا لحدوث المجاعات وكثرة الأموات، وذلك بردّها إلى أسباب طبيعية وبشرية؛ كون الدولة الوسيطية كانت دولة عسكرية بامتياز[2]، والتي تنعكس حتما على الحالة الاجتماعية لساكنة المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، ويكفينا من القرائن التي توضح خطر حدوث المجاعات على المستوى الاجتماعي، **مجاعة الحصار الطويل**(698هـ-707هـ/1299م-1307م)[3]، والتي حدثت جراء الحصار الطويل الذي فرضه السلطان المريني أبي يعقوب يوسف(فترة حكمه) على تلمسان عاصمة بني زيان، وقد بلغت مدّة الحصار "ما مقداره تسع سنين"[4].

وقد كانت عواقبه وخيمة على كل المستويات الاجتماعية، ولعلّ أبلغ وصف لهذه المجاعة التي حلّت بساكنة المملكة الزيانية، قول ابن خلدون(ت 808هـ/1405م): "..نالهم فيها من الجهد مالم تنله أمة من الأمم واضطروا إلى أكل الجيف والقطوط والفيران، حتى أنّهم زعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس وخربوا السقف للوقود وغلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق بما تجاوز حدود العوائد...واستهلك الناس أموالهم وموجودهم

---

[1] ابن خلدون : **مقدمة ابن خلدون**، مراجعة : سهيل زكار، وضبط متنها ووضع فهارسها: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1431هـ/ 2001م، ص376.

[2] بولقطيب، الحسين : **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، [2002م]، ص 30-31.

[3] ابن خلدون: **العبر**، ج7 /127 .

[4] ابن مرزوق: المصدر السابق، ص194.

وضاقت أحوالهم."[1]، وبلغ بهم الأمر من شدّة الجوع حسب المؤرخ ابن الأحمر(ت807هـ/1404م) "إلى أكل بعضهم بعضا، وكانوا يغوطون ويجعلون غائطهم في الشمس حتى يعود يابسا فيطبخونه ويأكلونه ، وهو في كل ذلك يشدد عليهم الحصر ويقول لأ واصلنه عليهم حتى أقتلهم جوعا".[2]

هاتين روايتين تفصحان عن الكارثة التي حلت بالمجتمع الزياني والتي لم تستثنى منها مدينة تلمسان فقط؛ فقد مسّ ضرر المجاعة المناطق المجاورة من قرى وبوادي، سواء على المستوى الاقتصادي أو العمراني وحتى الديمغرافي، فقد بلغ ضحايا هذه الكارثة، حسب رواية يحي ابن خلدون(ت780هـ/1378م)، زهاء مائة ألف وعشرين ألف شخص بسبب القتل والموت جوعا[3]، وان كان من الصعب تحديد نسبة الضحايا؛ لكوننا نعوز نسب صريحة لعدد سكان تلمسان قبل الحصار إلا أن هذا العدد الذي نقله يحي ابن خلدون، يوحي لنا بحجم الارواح البشرية التي راحت ضحية الجوع ، كما توحي بمدى تفاعل المؤرخين مع حجم الكارثة وذلك من حيث اختيار المصطلحات الأكثر تعبيرا عن حجم الكارثة على غرار" الخطب الشديد"[4]، و"ضاقت أحوالهم"[5]...الخ.

ولا تختلف **مجاعة (776هـ/1374م)** عن مجاعة الحصار الطويل من حيث نتائجها ووقعها الشديد على المجتمع الزياني؛ فقد تعددت أسبابها بين طبيعية "هبوب رياح ذات اعصار أهلكت الزرع والحيوان"، على حد تعبير "يحي ابن خلدون"[6]، وهناك من الباحثين من

---

[1] **العبر**، ج7 /ص128.

[2] ابن الأحمر، أبو الوليد اسماعيل بن يوسف الغرناطي(ت807هـ/ 1404م): **روضة النسرين في دولة بني مرين(طبع باسم تاريخ الدولة الزيانية)**، تح: هاني سلامة، ط1، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية– مصر، 1421هـ/2001م، ص 69.

[3] **بغية الرواد**، المصر السابق،ج1/ ص 125.

[4] يحي ابن خلدون: **نفسه**، ج1 / ص 124.

[5] ابن خلدون: **العبر**، ج7 / ص 128.

[6] **بغية الرواد**، ج2 / ص 576.

من اعتبر أن التقلبات المناخية وحدها غير كافية لتفسير الظاهرة ، وانّما اعتبر أن الحروب التي خاضها أبو حمو الثاني حكم ما بين(760هـ – 791هـ) ، وما رافقها من فتن داخلية ، كان لها دور كبير في تضرر الفلاحة، وبالتالي كانت كافية لحدوث المجاعة[1].

و كان من أثارها الوخيمة أن عمّ الخراب معظم بلاد المغرب، وفي شهادة للمؤرخ ابن القنفذ(ت 810هـ/1407م) أثناء رحلته الشهيرة يصف هول الكارثة بقوله:" وفي هذه السنة – أي(776هـ/ 1374م)– كانت المجاعة العظيمة بالمغرب..". ويضيف " فوردت تلمسان والحالة هذه"[2]؛ أي عمّها الخراب وحلّت بها المجاعة أيضا، افتقر الناس على اثره هذه الكارثة وبلغ بهم الجوع الشديد، إلى أن أكل بعض الناس بعضا[3].

وجدير بالذكر؛ أن الأمر لم يتوقف عند افتقار الناس واصابتهم بالجوع الشديد؛ بل ترتّب عن ظاهرة الفقر والجوع ظواهر اجتماعية اخرى، مثل انتشار ظاهرة التسول والسرقة[4]، وانتشار الأمراض والأوبئة...

ومن القرائن الدالة على ذلك: أن ابن القنفذ لماّ اجتاز تلمسان، أثناء رحلته من المغرب إلى قسنطينة، وكانت سنة مجاعة(776هـ 1374م)، صادف مجموعة من الضعفاء والمساكين ملازمين لقبر الولي الصالح أبي مدين شعيب، ينتظرون صدقات الزائرين للضريح[5]، كما ورد عن ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/1379م) أن الولي أبا زيد بن يعقوب يعقوب الصنهاجي، جاءه سائل يطلب قوت عياله في سنة مجاعة حلّت بتلمسان، فمنحه

---

[1] بلعربي : المرجع السابق، ص22– 23.

[2] ابن القنفذ : المصدر السابق، ص 105.

[3] يحي ابن خلدون: **بغية الرواد**، ج2 / ص 575.

[4] بلغت السرقة إلى حد سرقة ملابس النساء من البيت، و تلاليس الخيل، وحتى سرج الضيف لم يسلم من السرقة...؛ ينظر: ابن مريم المديوني، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح: ابن ابي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 267 – 270.

[5] ابن القنفذ : المصدر السابق، ص 106.

الشيخ خبزا بالرغم من حاجة أهله وعياله إليه، وكانت اجابته لأهل بيته بقوله:" ذهب بخبزكم من هو أشد حاجة منكم"[1]، وهنا تظهر فاعلية الأولياء مع ظاهرة التسول بشكل ايجابي، وتسكين جوع الفقراء ولو برغيف خبز.

كما تجدر الإشارة؛ أن تنوع أشكال المغارم والوظائف كانت سببا في انتشار الفقر وازدياد شريحة الفقراء في مجتمع المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، حيث امتصت مدخرات الطبقة المتوسطة في المجتمع وحولتها إلى طبقة فقيرة تفتقد القوت[2]، وقد أشار ابن مرزوق الخطيب في مسنده(ت781هـ/1379م) للعديد من المغارم والتي وصفها بالخسيسة المنكرة، كالمغرم على الحطب والبيض والتبن وسائر المرافق والتي تعدّ من الضروريات في المجتمع، كما اعتبر المغرم على الماء أكبر مصيبة في قوله :" وكان سقي الجنات يضطرّ فيه إلى المغرم للبراءة ولصاحب الحوز والحراس ، وتجري فيه من المصائب والخسارات والغبن ما لا يدخل تحت حصر"[3]، ولذلك فكل هذه الظروف وغيرها؛ ستجعل البيوتات الصوفية ومختلف أشكال العمران الصوفي محلّ جذب للفقراء والمساكين، لما يوفرونه من إيواء واطعام للفقراء[4]، بالإضافة إلى شعورهم بالأمن بالقرب من هؤلاء الأولياء والصوفية كونهم داخل حرم الولي ولا يمكن اذايتهم.

ومما زاد من معاناة المجتمع الزياني، انتشار الطواعين والأوبئة بكثرة؛ كنتيجة حتمية لظاهرة المجاعات المترتبة بدورها، عن الظروف المناخية القاسية وكذا الصراعات والحروب الشبه الدائمة..، التي ظلت تنخر المجتمع المغربي طيلة العهد الزياني، ومن الطواعين والأوبئة التي شهدها المجتمع الزياني كغيره من المجتمعات الوسيطية، نذكر على سبيل

---

[1] ابن مرزوق الخطيب : المناقب المرزوقية، ص 299.

[2] بونابي :**عصر المتصوفة**، ج04/ ص 797.

[3] ابن مرزوق الخطيب: **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/ 1981م ، ص 285.

[4] بونابي : **عصر المتصوفة**، ص 797.

المثال لا الحصر: **وباء الطاعون الأسود (749هـ/1348م)** ، والذي يفترض أنه شمل أجزاء كبيرة من العالم، حتى قيل:" إنه مات نصف الناس حتى الطيور، والوحوش، والكلاب..."[1]، ولعلّ أبلغ وصف للظاهرة ما جادت به أنامل العلامة عبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، في رصد مخلفات الطاعون الأسود بقوله لقد :"... ذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلّص من ظلّها...وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها، وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخلت الديار و المنازل...وكأنما نادى لسكان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة".[2] وعلى أن مرض الطاعون قد تفشى، في طبقة العامة من الناس بشكل كبير، إلا أن هذا المرض لا يستثني أحدا عندما يعم وباؤه[3].

ناهيك عن الخسائر البشرية التي تخلفها مثل هكذا ظواهر، فبالإضافة إلى طبقة العامة والفقراء راح ضحية الوباء نخبة من العلماء والمثقفين؛ حيث انجر عن وباء الطاعون الذي اجتاح مدينة تلمسان وقراها، سنة **750هـ/1349م**، إلى انقراض أسر بأكملها مثلما حصل لأسرة "الحاج يوسف بن يحي حفيد العالم التفريسي" التي انقرضت كلها بفعل وباء الطاعون القاتل[4] وتوفي العالم "أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير ابن زاغو المغراوي التلمساني" في وباء **845هـ/1441م** الذي ضرب المغرب الأوسط والمغرب ككل[5]، كما توفي العالم "محمد

---

[1] ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي(1036هـ/1089هـ): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – لبنان ،1413هـ/ 1996م، ج8/ ص 271.

[2] ابن خلدون: **المقدمة**، ص 42–43.

[3] فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، ج01/ ص252.

[4] ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص 187.

[5] التّنبكتي، المصدر السابق، ص 120؛ للمزيد ينظر: نفسه ص 118– 120. ينظر أيضا: ابن مريم، البستان، ص 43.

بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير: بـ ابن العباس التلمساني" **بطاعون 871هـ/1466م**[1].

في مقابل هذه الظروف المتأزمة، التي عاشتها الدولة الزيانية على كامل الأصعدة؛ من أزمات سياسية وحروب، وما ينجرّ عن ذلك من غياب الأمن والاستقرار داخل المجتمع، بالإضافة إلى كثرة المجاعات والأوبئة، التي اجتاحت المجتمع الزياني؛ والتي انعكست كلها سلبا على حياة أفراده، أين أصبح الفرد الزياني جراء هذه الظروف الصعبة، يفتقد قوت يومه، وهي أبسط متطلبات الحياة؛ وما زاد على ذلك السياسة الضريبية وأشكال المغارم الخسيسة التي عرفتها مؤسسات الدولة الزيانية، نتيجة العجز عن معالجة مشاكل وتطلعات العامة، وما زاد من الطين بلّة كثرة المظالم، واستغلال شيوخ القبائل وعمال الأقاليم للفراغ الذي خلفته سلطة الدولة، أين تقلص ظلّ السلطان الزياني؛ حيث لم يتجاوز في بعض الأحيان أسوار المدن والعاصمة تلمسان، وبالتالي راحوا يذيقون الرعية وبال أمرهم، فكثر الظلم التسلط والاعتداء على أملاك العامة والضعفاء.

وبالتالي؛ فإنّ ظروف كثيرة وأحوال عدّة، هي التي مهدت وساهمت في سحب الثقة من السلطة السياسية ومنحها لسلطة الولي[2]، حيث أن تدهور الوضع السياسي للدولة وفقدانها لكل سيطرة على مستوى الدواخل، وهذا ما ينطبق طبعا على أوضاع الدولة الزيانية– يدفع الناس إلى الالتجاء إلى زوايا الأولياء ، طلبا للحماية ودفعا للخطر[3]، ومنه لا

---

[1] ابن مريم : المصدر سابق ، ص 224؛ للمزيد ينظر، ابن مريم: نفسه ، ص 223– 224،.

[2] منصور بختي دحمور: **ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع** المغرب **الأوسط فيما بين القرنين (06و09 للهجرة /12و15 للميلاد)**، ط01، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق– سورية، دبي – الإمارات العربية المتحدة، 2017م، ص108.

[3] لطفي عيسى: **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ** ، دار سيراس للنشر،(دم)، 1993، ص 35.

سبيل للشك في الارتباط الجدلي بين واقع الأزمة وظهور الكتابات المنقبية، فظهور الكرامات يمثل رد فعل ضدّ استفحال الأزمات[1].

[1] بوتشيش: **التاريخ الغرب الاسلامي، ال**مرجع السابق، ص 107.

الفصل الثاني

بنية ومضمون الكرامة الاجتماعية

نسعى من خلال هذا الفصل، إلى تحديد البنية المكونة لنص الكرامة الاجتماعية، كما نسعى للوقوف على مضمون الكرامات الاجتماعية، التي احتوتها "مدونة صلحاء وادي الشلف" للمازوني(ت833هـ/1478م) انموذجا للدراسة، منطلقين من أسئلة جوهرية نظنها جديرة بالبحث، وهي كالتالي: هل يمتلك نص الكرامة بنية مركبة من آليات وأجناس مختلفة؟ أم مجرد نصوص بسيطة لا تخضع لآليات علمية ترفعه لمستوى النصوص الأخرى؟ وأيضا ما مضمون الكرامات الاجتماعية التي احتوتها مدونة مناقب صلحاء وادي الشلف؟ وبما يفسر رواج كرامات الظلم والتعدي في المدونة، على حساب الكرامات الأخرى؛ على غرار كرامات اطعام الطعام وانزال الغيث...؟.

المبحث الأول- البنية النصية للكرامة الاجتماعية من خلال مدونة المناقب الزيانية:

يتمتع نص الكرامة الاجتماعية بمقومات فنية وأسلوبية، شكلية وموضوعية تضمن خصائصه الإبلاغية، وتبلور جنسه في مصاف باقي الأجناس الأدبية والكتابية الأخرى[1]، كما أنه ليس هناك كتابة صوفية صرفة، بل جاءت النصوص متداخلة مع الأنواع الأدبية الأخرى، فمنها ما يشترك مع التاريخ، ومنها ما يتداخل مع الأدب[2]، وما ينطبق على النصوص الصوفية فهو ينطبق على نصوص الكرامة الاجتماعية، أما مضمون النص الكرامي، فيلتصق بأهل الولاية والصلاح، وذلك من خلال محاكاتهم وتكرارهم للنموذج المثال وسيرة النبي(ص)؛ وكل ما يرتبط بأشكال المقدس في الدين الاسلامي، وبالتالي فإنّ أصحاب

[1] بن عتو عبد الله: **أدب الكرامات من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي** ، دار الأمان، الرباط، 2014، ص 75.

[2] شغموم ميلودي: **المتخيل والقدسي في التصوف الاسلامي الحكاية والبركة**، منشورات المجلس البلدي، مدينة مكناس- المغرب، د.ت ، ص 266.

المناقب "جعلوا كرامات الصوفية وخوارقهم مستمدة من معجزات الرسول (ص) وكرامات الصحابة والتابعين ليبرهنوا على إتّباعهم لا على ابتداعهم"[1].

ومنه فمحاكاة الكرامة للمعجزات؛ هو تكرار ومحاكاة للنموذج النبوي[2]، والهدف من هذه المحاكاة؛ هو اكتساب شرعية وقبول في مجتمع بنيته الأساسية إسلامية[3].

ولعلّ ما درج عليه أصحاب التآليف وليدة الفترة الزيانية، لم يخرج عن الاطار العام المشكل لبنية النص المنقبي بصفة عامة ونصوص الكرامات بما فيها نص الكرامة الاجتماعية، حيث استعارة الروايات الكرامية الآليات المشكلة لبنية الأنواع الأدبية الأخرى؛ على غرار علم الحديث النبوي الشريف، والأدب...

أولا – آليات الحديث النبوي الشريف:

ما يميّز الروايات المناقبية التي تعود للفترة الزيانية؛ هو محاولة أصحابها الاعتماد على آليات وطرق علم الحديث النبوي الشريف، في سرد روايات وكرامات الأولياء، تجلّت مظاهر ذلك من خلال:

01 – مقدمات نصوص الكرامة الاجتماعية:

جاءت مفاتحات نصوص الكرامة الاجتماعية أغلبها على صيغة، "أخبرني" و"حدثني"، والتي "تحيل من أول وهلة إلى حقل ثقافي وديني واسع، هو الحديث النبوي وطرق روايته"[4]

---

[1] محمد، مفتاح: **التيار الصوفي والمجتمع في اللأندلس والمغرب اثناء القرن 8هـ/ 14م**، أطروحة دكتوراه دولة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1980م/1981م، ص 212.

[2] شغموم ميلودي : المرجع السابق، ص 148.

[3] نفسه، ص 268.

[4] بن عتو عبد الله: المرجع السابق، 76.

وذلك ما نجده بارزا، في نصوص الكرامات ذات البعد الاجتماعي، التي حفلت بها المدونة المنقبية الصوفية خلال الفترة الزيانية وكنماذج على ذلك نذكر:

- "أخبرني جماعة لا أحصيهم كثرة وهي من القضايا المتواترة..."[1]

- " وحدثني شيخنا أبو عبد الله السنوسي بزيادة في هذه الحكاية..."[2]

- " حدثني شيخنا الأستاذ أبو زكرياء عمن يثق به عن أبي عبد الله محمد بن يحي بن أبي يحي..."[3]

صيغ المفاتحات التي طبعت روايات الكرامة الاجتماعية؛ تجعل من الباث وكأنه بصدد اخراج حديث نبوي شريف لا مجرد نص كرامي، وربما كان ذلك تنزيلا للكرامة منزلة المعجزة[4]، ويمكن تصنيف هاته الصيغ داخل إطارين متكاملين؛ إطار شفهي والآخر كتابي:

أ – الاطار الشفهي:

تعتبر الرواية الشفهية؛ مصدرا من مصادر رواية الحديث النبوي الشريف، وفي سياق استعارة مؤلفي المناقب لكل أشكال الكتابة التراثية التي لها صلة بالبيئة الاسلامية[5]، اعتمدوا في مصنفاتهم على أخبار ونقول الأشخاص، الذين لهم قرابة مباشرة مع الولي أو صاحب الكرامات، وذلك لإعطاء صبغة شرعية لا تترك للقارئ أدنى شك في صحة رواياتهم، وأبرزها القرابة الدموية، والقرابة المذهبية.

---

[1] ابن مرزوق : **المناقب المرزوقية**، ص 151.

[2] ابن صعد، محمد الأنصاري التلمساني (ت 901هـ/ 1496م): **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تح : يحي بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 112.

[3] المازوني، أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي (ت833هـ/ 1478م): **صلحاء وادي الشلف**، تح : غرداوي نور الدين، منشورات دار الخلدونية، الجزائر، 2017م، ص 457.

[4] بن عتو عبد الله: المرجع السابق ، ص 76.

[5] نفسه، ن. ص.

ـ **القرابة الدموية:** دأب مؤلفو المناقب الصوفية، في نقل أخبار الكرامات من مصادر قريبة جدا من صاحبها– الولي– حيث اعتمدوا على روايات، الأزواج ، والابناء والأعمام وأبنائهم، وكل من له علاقة بالولي أو صاحب الكرامة، وهذا ما تجسد في مدونة المناقب الصوفية، وما درج عليه مؤلفي كتب المناقب خلال الفترة الزيانية، فنجد لفظة "حدثني عمي" و "حدثتني زوجة عمي" و" حدثني والدي" و"حدثني حفدة الشيخ"...، تتكرر كثيرا ومن النماذج الدالة على ذلك نجد:

ـ " حدثني عمي رحمه الله تعالى...وأيضا حدثتني الحاجة المباركة ست الملوك بنت يعقوب الهواري زوجة عمي"، ومفاد الكرامة :أن والد ابن مرزوق الخطيب، حصل وأن أحضر للحاجة مباركة آنية من الزيت، لم تنضب مدة سنة كاملة بالرغم من استعمالاتهم اليومية للزيت، وذلك بفعل بركة الشيخ في تكثير الطعام ، حتى أن الحاجة المباركة صارت تتعجب من ذلك[1]، والواضح أن ابن مرزوق مؤلف المناقب، اعتمد في رواية هذه الكرامة التي تدل بركة الطعام ، على رواية عمه وزوجة عمه، وهم من قرابته الدموية، وكذلك من صانعي الحدث التاريخي، وهذا ما يعطي للرواية مصداقية وقبولا لدى المتلقي.

ـ" أخبرني فضلاء من حفدة الشيخ وغيرهم..."، ومفاد الكرامة: أن أهالي مغراوة المجاورين لزاوية الشيخ سيدي واضح، استجاروا بحرمه لما أحسوا الخطر من قبل العامل محمد بن عبد القوي، واستطاع الشيخ ردّ الخطر؛ بفعل دعائه المستجاب في محمد بن عبد القوي، الذي أصابه وجع شديد، وصار يطلب العفو من الشيخ بعد أن كفّ يده عن أهالي مغراوة ورفع عنهم الظلم[2]، إنّ نقل المازوني(ت833هـ/1478م) هاته الرواية الكرامية عن حفدة الشيخ سيدي واضح وبعض الفضلاء وغيرهم، تدل على حرصه في تقصي الخبر من أقارب الولي وصاحب الكرامة، تماشيا مع طرق نقل الخبر في الحديث النبوي الشريف.

[1] ابن مرزوق الخطيب: المناقب المرزوقية،191.

[2] المازوني، المصدر السابق ، ص 223– 224.

- " ومن كراماته ما حدثني به والدي ..."، ومفاد الكرامة أن الشيخ الولي الصالح ابراهيم التازي (ت 866هـ/ 1462م) استطاع توفير فاكهة الدّلاع لمريض في غير وقته، فقد كان الزمن شتاءً[1]، وهنا يظهر دور الولي في الوقوف إلى جانب أفراد مجتمعه، بالأداء الكرامي والملاحظ أيضا من هذه الرواية الكرامية، أن المؤلف ابن صعد(ت 901هـ/1495م) نقل حيثياتها عن طريق والده ، الذي عايش أحداث الكرامة وتفاعل مع أحداثها.

- "وحكى لي أخي سيدي علي ..."، ومفاد الكرامة: أن الشيخ أبركان استطاع ردّ حملة السلطان الحفصي أبو فارس على تلمسان، وذلك أن أهل تلمسان اتجهوا إلى المشايخ والأولياء ليتوسطوا لهم، عند السلطان الحفصي ليعفو عنهم، فرفض الشيخ الحسن أبركان الخروج اليه واكتفى بالدعاء وصار يردد قوله :" الله يحكم بيننا وبينه"، فكان في تلك الليلة أن رأى السلطان أبو فارس في منامه الشيخ أبركان ، وهو صاعد نازل في مدارج البيت وبيده سيف، فأصابه الذعر والرعب مما رأى، فتاب من ليلته ورجع عن تخريب المدينة ورفع أذاه عن سكانها[2]، وكأنه عجز واضح للسلطة السياسة لدولة بني زيان في ردّ العدوان على الرعية؛ وفي المقابل يظهر الولي بفعل كراماته وخوارقه بمظهر المنقذ والحامي لأهالي مدينته.

اذن هذه بعض النماذج، التي تكاد تفصح عن المنهج المتبع من قبل مؤلفي المناقب؛ حيث اعتمدوا في نقل كرامة الأولياء، على كل ما يمتّ لهم بصلة وقرابة دموية، على طريقة نقل الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتمدها الرواة والاخبارين في عملية تدوين الروايات الحديثية.

---

[1] بلحاج، محمد: **مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، دراسة وتحقيق: الجزء الأول، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران- الجزائر، 2007م-2008م، ص123.

[2] ابن مريم : نفسه، ص 79- 80.

ـ **القرابة المذهبية:** في ظل اعتماد مؤلفي المناقب الصوفية على كل من له قرابة بالباث أو بموضوع النص الكرامي؛ كانت الكثير من رواياتهم حول كرامات الأولياء منقولة عن أشخاص تربطهم علاقة مذهبية بالولي على غرار؛ مريدين ومحبين أو بعض خدام الشيخ...

وقد درج أصحاب المدونات المناقبية العائدة للفترة الزيانية؛ في نقل رواياتهم حول كرامات الأولياء والشيوخ عن مصادر من هذا الصنف، ولنا من القرائن الدالة على ذلك:

ـ "اخبرني الشيخ الصالح، سيدي أبي العباس بن القطان، وغيره..." ، ويعتبر ابن القطان من المقربين وخديم[1] الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق، جد ابن مرزوق الخطيب من جهة والده، وقد نقل كرامة عنه تفيد؛ أن الشيخ أبو عبد الله كانت له قطعة أرض صغيرة يحرثها للفلاحة، وعند حصاد القمح كان يجلس بإزائه ويأخذ حفنة منه ويعيد رميها، فيكتال من ذلك المحصول الضعفاء والمحتاجين ومع ذلك لا ينفذ، فيأخذ الباقي يأكل منه هو وعياله ويتصدق منه الصدقة الكثيرة طول سنته[2]، وتعتبر كرامة تكثير الطعام وزيادة بركته من الكرامات الاجتماعية التي اضطلع بها أولياء المغرب الأوسط خلال العهد الزياني؛ نتيجة للظروف الاقتصادية التي عاشتها البلاد.

ـ "هذا ما سمعته أنا واخي سيدي علي من الشيخ ابراهيم بن ردان..."، ومفاد هاته الكرامة، أن الشيخ ابراهيم ابن ردّان خديم الشيخ الحسن أبركان، سرقت منه حمارة أثناء طريقه إلى الحج من قبل العرب ببرقة، وما كان من الشيخ أبركان إلا أن صاح صيحة قوية على العرب فردوا للرجل حمارته من تلك الساعة، بفعل الاندهاش والخوف الذي أصابهم جراء صيحة الشيخ[3]، وتدخل هاته الكرامة ضمن كرامات إغاثة المستضعفين والذود عنهم.

---

[1] ابن مرزوق الخطيب: **المناقب المرزوقية**، ص 146، هامش(20)

[2] نفسه، ص 160.

[3] ابن مريم: المصدر السابق ، ص 75.

ـ" وحدثني شيخنا أبو عبد الله السنوسي...عن سيدي ابراهيم..."، ومفاد الكرامة؛ أن رجلا من طغاة العرب، يدعى عثمان بن موسى بن المسعود العامري اعتدى على رجل من أصحاب الشيخ محمد بن عمر الهواري عاش ما بين (751هـ – 1350م / 843هـ – 1439م)، وأخذ ماله وزاد في ظلمه بتقييد خديم الشيخ الذي بعثه ليسترد حقّ الرجل، ولما بلغ الخبر إلى الشيخ محمد الهواري إلا واتجه بالدعاء وسمع أنه كان يردد: " مفرطح، مفرطح"، فاتفق أنه كان في ذلك اليوم عرس سقط عثمان عن فرسه ودخل رأسه في جوفه، ومن تلك الساعة اتجه أهل عثمان، للخديم وأطلقوا سبيله وردوا للرجل ماله[1]؛ وتدخل مثل هاته الكرامة، ضمن كرامة إغاثة المظلومين أيضا، وهي من الكرامات الاجتماعية التي اشتهر بها أولياء المغرب الأوسط خلال الفترة الزيانية؛ كما يفترض أن يكون راوي الخبر والرواية الكرامية ابراهيم التازي ، من جلساء الشيخ الهواري وأحد مريديه [2]

وفي سياق رابطة القرابة المذهبية التي اعتمدها مؤلفو المدونات المناقبية في نقل الروايات الكرامية؛ نقل الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر الملالي التلمساني(كان حي سنة 897هـ/1491م) كرامات شيخه وأستاذه الامام محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/ 1489م)، بشكل مباشر، وخاصة ما تعلق بصنف الكرامات الاجتماعية حيث شملت؛ كرامات ابراء المرضى، وكرامات انزال الغيث، وكرامات قضاء حوائج المستضعفين، وكرامات تأمين الخائفين ...[3].

[1] ابن صعد: **روضة النسرين**، المصدر السابق، ص 112.

[2] ذكر ابن صعد، أن سيدي ابراهيم قد مكث مدة العشرة أعوام بصحبة محمد الهواري ؛ ينسخ كلامه ويضعه في دفاتر. ينظر: نفسه، ص 145، 146.

[3] الملالي، أبو عبد الله محمد بن عمر التلمساني(كان حي سنة 897هـ) : **المواهب القدسية في المناقب السنوسية**، تح: علال بوربيق، ط01، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة– الجزائر، 2011م، ص 111، 112، 174، 279، 296.

والغاية المرجوة من كل هذا، هو اعطاء النص مصداقية تجعل المتلقي ينساق وراء كل ما يروى من كرامات؛ وبالتالي سهولة انتشارها وإذاعتها بين الناس[1].

ب- الاطار الكتابي: التزم أصحاب النصوص المناقبية في رواياتهم لنصوص الكرامات ونقلها على اخضاعها لقوانين وآليات، أوجدها رواة الحديث النبوي الشريف، وذلك حرصا منهم على حفظها من التلف، وصونها عن الزيغ والخلط[2]، ومن بين هاته القوانين التي خضع لها النص الكرامي؛ آلية السند والتواتر، وذكر أسماء الرواة.

ـ السند والتواتر: في ظل امتصاص النصوص الكرامية لكل ما يمتّ بصلة للثقافة الاسلامية، فقد درج أصحاب المناقب في سرد الروايات الكرامية، على محاولة محاكاة آلية من آليات نقل الحديث النبوي الشريف، تتمثل في السند والتواتر، والسند يعني؛ الثقات الذين بلّغوا المتن(الرويات) وبشكل متواتر، ويظهر اشتراك الكرامة مع الحديث النبوي من حيث، البنية السردية وتقاليد الحكي؛ ففي الحديث نجد، شخصا يملك معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم، يعلم شخصا آخر يريد أن يعرف، هذا الشخص ينقل ما تعلم إلى شخص آخر وهكذا إلى أن يثبت النص في أحد الصحاح[3]، وكذلك نفس المطابقة نجدها في الكرامة؛ فهناك وليّ وأتباع يريدون معرفة أحوال شيخهم، فينقلون ما تواتر عليه من أفعال وكرامات[4]، غير أن ما نلمسه في هذا الجانب، أن السند في الروايات الكرامية لا يخضع للنقد والتمحيص مقارنة مع السند الحديثي، الذي يخضع لقوانين صارمة على غرار؛ قانون الجرح والتعديل للتثبت من صحة الروايات وكذا التأكد من الرواة الثقات.

---

[1] بن عتو عبد الله: المرجع السابق، ص 77.

[2] نفسه، ص 77.

[3] حكيم ميلود: **الكرامة الصوفية في منطقة تلمسان دراسة أنتروبولوجية – سيميائية من خلال مدونة ابن مريم" البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، معهد الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر، 1997م- 1998م، ص 157.

[4] نفسه، ص 157.

وذلك أن النصوص الكرامية وخاصة ما تعلق بالكرامة الاجتماعية؛ لم تخضع لنفس الصرامة التي يخضع لها نص الرواية الحديثية، ومن ذلك مثلا؛ "وحدثني شيخنا أبو عبد الله السنوسي بزيادة في هذه الحكاية عمن يثق به، عن سيدي ابراهيم أنه قال: ..."، وأيضا "أخبرني جماعة لا أحصيهم كثرة وهي من القضايا المتواترة..."[1] وحدثني الأستاذ محمد بن تومرت[2] من كراماته المتواترة المستطابة[3]، و الملاحظ أن النصوص الكرامية وان حاولت التماهي مع طريقة نقل الروايات في الحديث النبوي الشريف، إلا أنها لم تعطي أهمية لعدد الرواة وبدل تنشيط " العنعنة" (عن فلان عن فلان وفلان) التي تتميز بها الرواية الحديثية، نجد بدل ذلك تتكرر لفظة "من القضايا المتواترة " وكذلك "من كراماته المتواترة " في نصوص الكرامات الاجتماعية.

ـ **ذكر أسماء الرواة:** حرص أصحاب النصوص المناقبية أيضا، على ادراج أسماء الرواة والمخبرين داخل نص الكرامة الاجتماعية؛ كما تقدّم في بعض الأحيان مصحوبة بصفات تحيل على رسوخ الراوي في مجال التصوف والصلاح، والغاية من كل ذلك " تأكيد تحرّيهم الأمانة وإتباعهم الصدق في القول، والتزامهم بقواعد الرواية والتحديث"[4]

وبإسقاط هاته الآلية على نصوص الكرامات في بعدها الاجتماعي، التي احتوتها مدونة المناقب العائدة للفترة الزيانية، نجد الكثير من النصوص الكرامية، التي حاول أصحاب المناقب تجسيدها؛ مجاراة لآلية من آليات رواية الحديث النبوي الشريف، وحسبنا في ذلك ورود أسماء لرواة نقل عنهم أصحاب المدونات المناقبية الروايات الكرامية على غرار؛ (أبو عبد الله السنوسي)[5]، (الأستاذ أبو زكرياء)، (أبو عبد الله محمد بن يحي بن أبي يحي)[1]،

---

[1] ابن مرزوق : **المناقب المرزوقية**، ، ص 151.

[2] الملالي: المصدر السابق، ص 70.

[3] ابن صعد، **روضة النسرين**، ، 112.

[4] بن عتو عبد الله: المرجع السابق، ص 78.

[5] ابن صعد: **روضة النسرين**، ، ص 112.

(الأستاذ محمد بن تومرت)[2] (الشيخ ابراهيم بن ردّان)، (الشيخ الصالح الذاكر سيدي احمد الحصيني)[3]، (أخبرنا شيخنا الفقيه القاضي الشهير المحدث المرحوم أبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس)[4].

وعلى الرغم من أنه لامجال للمقارنة، بين ذكر أسماء الرواة في نص الحديث النبوي وبين ذكر أسماء الرواة في نص الكرامة الاجتماعية؛ كون الأول يمتاز بالصرامة والدقة في نقل أسماء الرواة وتمحيصها، بينما الثاني أقل صرامة وأقل دقة، لأن هدف أصحاب المناقب من محاكاة آليات الحديث النبوي والسيرة النبوية، هو من أجل إقناع القارئ بما يروى من كرامات، بحيث "تتغلب فيها العبرة والحث على العمل الصالح على تحريات صحة السند والمتن"[5].

ثانيا – آلية الأدب:

استعارة النصوص الكرامية من الأدب الكثير من خصائصه الجوهرية التي تمثل بنيته الأساسية؛ ومن ذلك استثمارها للطاقة السردية في الأدب، وكذا استعارتها لمختلف التقنيات المعتمدة ، من عناصر التشويق، وعناصر المفاجئة...[6].

وتتكرر الكثير من هاته الخصائص الأدبية، داخل نصوص الكرامات الاجتماعية التي وقفنا عليها، في مدونة المناقب الصوفية الزيانية، ولنا من القرائن التي تؤيد ذلك:

---

[1] المازوني : المصدر السابق ، ص 457.

[2] الملالي : المصدر السابق، ص 70.

[3] ابن مريم : المصدر السابق ص، 75، ص 77– 78.

[4] ابن القنفذ : **أنس الفقير**، ص 50.

[5] محمد مفتاح : المرجع السابق، ص 217.

[6] بن عبد الله : المرجع السابق، ص 81– 82.

– جاء في مدونة "المناقب المرزوقية" رواية كرامية تدور أحداثها حول الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق(ت 681هـ/ 1228م) ومفادها؛ أن رجلا كان يتردد إلى الشيخ ببعض المرافق(طعام وبعض الأغراض) من البادية، وقد توفي الرجل وخلف ولدا وزوجته، فكان الولد يتردد إلى الشيخ بالحطب والفحم وما يحتاجه، وحدث أن سجنه السلطان أبي يحي يغمراسن بما يوجب سفك دمه ، فجاءت الأم تشتكي للشيخ أمرها، فبادر بالدعاء لها، فقالت له: ما أريد منك دعاء ، وإنما أريد منك أن تكلم لي السلطان. فقال: مالي وللسلطان؟ ومن أين أعرفه أو يعرفني؟ إنما أشفع فيه إلى سلطان السلاطين... وفي كلام طويل، فلما كان منتصف الليل ، سمعوا ضجة بباب الدار وقارعا على الباب وينادي: أين سيدنا أبوعبد الله؟ فخرج الشيخ ووجد الوزراء وحجاب السلطان ومعهم ولد المرأة...يعبرون عن ندم السلطان في سجنه الولد، فتعجب الشيخ من الأمر وقال:" ومن أنا حتى يقال لي هذا؟، فأخبروه بأن السلطان نائم ، إذا برجل قد وقف له وقال: قم، وأطلق سراح الرجل الذي تكلم فيه أبو عبد الله بن مرزوق، فنهض السلطان مذعورا واستدعى حراسه واطلقوا سراح الولد وارسله لتتأكد ان كان هو الرجل المطلوب، فقال لهم: نعم هو. فصاح بوالدته، فاعتنقت ولدها، وذهب كربها[1]

هذا ايجاز لنص رواية طويلة تمّ التصريح بأبطالها، وهم: (الشيخ أبو عبد الله، الولد المسجون، الأم، السلطان أبي يحي يغمراسن ووزراءه وحجاب قصره..)، كما تم اظهار كل أحداثها المتفاعلة(سجن، شكوى، دعاء، أحلام ومنامات ، اطلاق سراح السجين)، بالإضافة إلى حضور أفعال الكلام(قال، حدث، رأى، سمع، روى) بقوة في نص الرواية الكرامية وأيضا توفرها على عنصر التشويق، والذي يعد خاصية أدبية بامتياز، وذلك أنه في بداية الأمر كان الأمر يبدو واقعيا؛ حيث سجن الولد ، ثم أعقبته شكوى الأم للشيخ أبو عبد الله،

[1] ابن مرزوق الخطيب: **المناقب المرزوقية**، ، ص 151– 152 . للمزيد ينظر: ابن مريم: المصدر السابق، ص 76–79؛ المازوني: المصدر السابق، ص 223.

وفجأة يظهر عنصر التشويق في الرواية، منام السلطان، تهديد الشيخ للسلطان بالقتل، ذعور السلطان وخوفه الشديد، ثم كانت نهاية الرواية الكرامية المشوقة، بإطلاق السجين وعودته لحضن أمه.

ولذلك فهاته الخصائص الأدبية التي طبعت بعض النصوص الكرامية في بعدها الاجتماعي جعلتها تحمل سمات الجنس الأدبي والغاية منها، جعل القارئ أو المتلقي ينتقل من حالة التتبع والقراءة والاستئناس، إلى حالة التأثير والاقتناع؛ وبالتالي الانغماس الكلي في منطق الأحداث وتصديقها[1].

اذن يتضح من خلال أشكال الاستعارة التي احتواها نص الكرامة الاجتماعية؛ من آليات الحديث النبوي الشريف وآلية الأدب...، أن نصوص الكرامات الاجتماعية، هي نصوص مركبة، امتزجت فيها أجناس أدبية متنوعة، كما يتضح وجود لمسة عقلية أضفاها أصحاب المناقب في سرد النقول والروايات الكرامية؛ حيث أن اللجوء إلى الاستعارة جاء نتيجة تفكير في إيجاد مخارج عقلية تصبغ نص الكرامة ولعلّ هذا ما قصده علي زيعور في قوله :" يتدخل العقل في الكرامة، عند اللجوء إلى الاستعارة أو الاشادة والتمثيل بالصورة وبالحكاية لمبدأ صوفي أو لقيمة أخلاقية أو لواجب ديني"[2].

المبحث الثاني– قراءة في مضمون الكرامة الاجتماعية– مدونة صلحاء وادي الشلف انموذجا – :

يعدّ كتاب صلحاء وادي الشلف، لمؤلفه أبو عمران موسى بن عيسى بن يحي بن ادريس الناصر بن عبد الرحمن(833هـ/ 1478م)، من أبرز ما كتب حول مناقب الصوفية خلال العهد الزياني، فالكتاب "يعد موسوعة في التصوف ومصدرا فريدا في الترجمة لعدد

[1] بن عتو عبد الله: المرجع السابق، ص 81.

[2] زيعور : المرجع السابق، ص 30.

من صلحاء وادي الشلف، وهو يحمل في جنباته معلومات تاريخية في غاية الأهمية حول علاقة المتصوفة بالسلاطين والأمراء، والأحوال السياسية والأمنية في منطقة الونشريس، والصراع بين القوى في المنطقة ومنزلة المتصوفة ودورهم في حماية مجتمعاتهم الضيقة، من عسف الأمراء وأهل التغلب".[1]

ويعتبر عصر المؤلف(النصف الثاني من القرن الثامن الهجري و النصف الأول من القرن التاسع الهجريين، النصف الثاني من القرن الرابع عشر والنصف الأول من القرن الخامس عشر الميلاديين)، مليئ بالأحداث الهامة التي طبعت هاته الفترة من اضطرابات وفتن داخلية وخارجية، هددت أمن واستقرار البلاد والعباد.

وتكمن أهمية الكتاب؛ كونه ترجم لإحدى عشر وليّا من أولياء وادي الشلف بالمغرب الأوسط، موزعين على فترات مختلفة، شملت القرن السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، واحتوت الموسوعة العلمية كماّ هائلا من كرامات الأولياء، عرف صنف الكرامة الاجتماعية رواجا وتصاعدا في المدونة المنقبية؛ مسّت مختلف مناحي الحياة وتعكس فاعلية الولي داخل مجتمعه وخدمته بواسطة الكرامة، وهي على النحو التالي :

أولا – كرامات الأولياء في مواجهة الأزمات الاجتماعية :

صور لنا المازوني في كتابه "صلحاء وادي الشلف" بالمغرب الأوسط، الأدوار الفاعلة التي برز من خلالها الأولياء في خدمة مجتمعاتهم، من توفير للطعام أثناء أزمات الجوع، كما كان يستسقى بهم أثناء أزمات الجفاف والعطش، وحتى محاربتهم لبعض الآفات الطارئة، وكذا ابراء المرضى، وعلى الرغم من كون بعض الكرامات التي نقلها المازوني لا

[1] بوداود عبيد: " **تقديم مخطوط صلحاء وادي الشلف لموسى بن عيسى المازوني**"، حولية المؤرخ، العدد، 13– 14، السداسي الثاني 2011، ص 199.

تنتمي لمجال المغرب الأوسط، ولا تعود للعصر الزياني، لكن حاول اسقاطها على أوضاع عصره وكيفية الخروج من الأزمة.

1 – كرامات انزال الغيث:

تعتبر ظاهرة الجفاف من الظواهر المألوفة في بلاد المغرب الأوسط، فقد كان ينجم عن عدم تساقط الأمطار خلال موسمها وموعدها المحدد، وكانت تحدث الكارثة إذا استمر الجفاف ثلاث سنوات؛ حيث تنفذ المؤن والمدخرات وترتفع الأسعار[1]، وسيؤدي فيما بعد إلى حدوث أزمة الجوع والتي لها انعكاسات سلبية على كل المستويات الاجتماعية..

وقد احتلت أزمات الجفاف وما يترتب عنها من انعكاسات، موقع الصدارة في اهتمامات مؤلفي المناقب تحديدا؛ حيث اعتبروها من الكوارث الكبرى[2]، كما يرجع اهتمام مصنفي كتب المناقب بالظاهرة نفسها، إلى أن كثيرا من الأولياء الذين ترجموا لهم، عرفوا بكرامات ذات علاقة بالاستسقاء وغيرها من الوظائف، والتي كانت تمثل هاجسا مؤرقا للإنسان المغربي الوسيط[3] وقد تصدى لها أولياء المغرب الأوسط بتفعيل الأداء الكرامي للتخفيف من وطئ الأزمة على المجتمع وتسكين مخاوفه.

فقد استسقى سكان العباد بوادي رهيو[4]، ببركة الشيخ سيدي واضح (القرن 07هـ/ 13م) في زمن قحط وجفاف أو كما يسميه المازوني" وقتا مذموما"؛ وذلك أن الشيخ أبو البيان واضح، طلب من امامه سيدي عزوز السير نحو جبل وافرشان، وقصدوا مكناسة بالعباد وهو

---

[1] خالد بلعربي : المرجع السابق ، 20.

[2] عموري عبد العزيز: "**المضمون الاجتماعي في الكرامة الصوفية**"، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث(د. م) د. ت، ص10.

[3] بولقطيب: المرجع السابق، ص 42.

[4] ذكر **محقق** "كتاب صلحاء وادي الشلف"، **نور الدين غرداوي** أثناء زيارته للمنطقة، أن هذا المكان يسمى حالياً بكاف العباد وتوجد بها مغارات وهو في الجهة اليمنى من خناق وادي رهيو أسفل سد قرقر وبها آثار ومغارات قديمة، ينظر: المازوني، المصدر السابق، ص 195، هامش (3).

موضع تعبد الشيخ، وكان سبب سيره أن الوقت كان مذموما، و الشيخ لم يستطع اطعام الواردين عليه لنفاذ المؤونة ، حتى ان امامه سيدي عزوز صار يتعجب من سير الشيخ في هذا الوقت؛ وهو زمن قحط وجوع، وأن لا مؤونة ولا ماء حتى للوضوء، وواصلوا سيرهم.

وبمجرد وصولهم للغيران، وصلى كل منهم ما شاء الله، فلما جهنم الليل إذا بالسماء وقد جادت برزقها، فأصبح من الغد جميع من حواليهم من الغدران مملوءة بماء السماء[1]، فأنتجع الناس بمواشيهم من الأوطية إلى الجبل برعي ما فيه من اليبس وسقيها من ماء الغدران، ولما علم أهالي منطقة وادي رهيو بمستقر الشيخ قصدوه بالهديا والتبرك به والتماس الدعاء منه[2].

توحي الرواية الكرامية مدى فاعلية الولي الصالح، ونجاعة بركته في تغيير الوضع المتأزم إلى وضع أحسن منه خدمة لمجتمعه، وقد استطاع المازوني ابراز تلك الفاعلية من خلال ربط نزول الغيث، بمجرد وصول الشيخ أبو البيان واضح إلى الغيران؛ وبالتالي فقد استسقى الناس بفعل بركته.

وعلى الرغم من افتقادنا للإطار الزماني لوقوع أزمة الجفاف والقحط، التي أصابت المغرب الأوسط في حياة الشيخ أبو البيان واضح(ق7هـ/ 13م)؛ غير أنّه وبالرجوع لكتب الحوليات التاريخية التي أرّخت لأحداث القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي، نجد أن القرن السابع الهجري قد شهد خلالها العديد من أزمات العطش والجفاف؛ ومن ذلك القحط الذي ضرب بلاد المغرب سنة (883هـ/ 1284م)، حيث أصاب الناس "...قحط شديد لم ير الناس قطرة ماء حتى كان يوم السابع والعشرون من رمضان"[3]، ويفترض أنه شمل كل بلاد المغرب، وفي شهادة "للعبدري" عند وصوله إلى مدينة تلمسان، وصف حالة

---

[1] المازوني: نفسه، ص 192- 193.

[2] المازوني: نفسه، ص 195.

[3] السلاوي: **الاستقصا**، ج3/ 89.

القحط والعطش التي حلّت بالبلاد سنة 688هـ/ 1289م[1]، كما عرفت بلاد المغرب قحطا شديدا مع نهاية القرن السابع هجري، الثالث عشر ميلادي، ومن ذلك ما ذكره ابن خلدون (808هـ/1405م) بقوله :"وكان أصاب الناس أعوام إثنتين وتسعين وستمائة قحط، ونالتهم سنة وهنوا لها، ثم أن الله رحم خلقه وأدرّ نعمته، وأعاد الناس إلى ما عهدوه من سبوغ نعمهم وخصب عيشهم".

وقد جاء مضمون الكرامة محاكيا للنموذج المثال؛ حيث استعار المازوني الصور الكرامية من تشوف التادلي، وحاول إسقاطها على صلحاء وادي الشلف في منحاه لتحقيق التماهي مع النموذج المثال، ففي سياق سرده لكرامة الاستسقاء للولي الصالح أبو البيان، ساق وصية أبا بكر رضي الله عنه لابنه إذا وقع في الناس حدث بأن يختبئ في الغار الذي اختبئ فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرواية ساقها التادلي[2]، عند سرده لكرامة الاستسقاء التي حدثت في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه واستسقاء الناس بأبي العباس، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن قحط في عام الرمادة سنة سبع عشر للهجرة[3]، ومن هنا يظهر لنا وكأن المازوني أراد محاكاة النموذج المثال، من خلال اشتراك الولي أبو البيان واضح مع ابي العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم في كونهم أولياء الله يستسقى بهم في زمن القحط، كما عبر عن أزمة القحط والجفاف التي عرفها عصره، من خلال سرده لكرامات الاستسقاء التي اضطلع بها الأولياء، وخاصة ما جاء في "تشوف التادلي"، ومن ذلك أن طلب الناس من أبو زكريا الجذاوي الأقرع أن يستسقي للناس، فقام

---

[1] العبدري، محمد البلنسي (ت 720هـ/ 1325م): **الرحلة المغربية**، تقديم : سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة – الجزائر، 2007م، ص 27.

[2] التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحي المعروف بابن الزيات (ت 617هـ/ 1220): **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح : أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح – الدار البيضاء، 1997م، ص 69.

[3] التادلي: نفسه، ص 68.

ورمى شاشيته إلى الأرض، ووقف يدعو الله أن يغيثهم ، فما نزل من مكانه حتى مطر الناس[1]، وباستعارة المازوني للنماذج الكرامية، يكون قد عبر عن حالة عصره وآمال مجتمعه.

وفي ظل الأدوار الفاعلة للأولياء عند حلول الكوارث والأزمات الطبيعية، تمكن الشيخ أبو عبد الله بن محيو الهواري؛ الشهير بابن الأبرش(من صلحاء القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي) من القضاء على آفة الجراد التي نزلت بأهل ورسفان؛ وذلك أن أهالي بني ورسفان غلبهم الجراد فخرجوا لمدافعته، وعلى الرغم من ذلك عجزوا عن ردّه، فإذا هم بالشيخ أبي عبد الله الأبرش راكبا على دابته، فسألهم عن أمرهم فعرّفوه بما جرى لهم وما نزل بهم من آفة الجراد، فأخبرهم بأن يكفوا أيديهم عن محاربة الجراد وأنه جند من جنود الله، وما كان منه إلا أنه أخذ جرادة وقلبها ونظر لبطنها ثم رماها على الأرض، وقال: "انصرفوا عنه"، وما كان المساء حتى خرج أهل ورسفان فلم يجدوا جرادة، وقد خلصهم الله من هاته الآفة الخطيرة[2]، والرواية التادلي في" تشوفه" ايضا[3].

ويظهر نص الكرامة الاجتماعية الولي؛ بصفته البطل المنقذ والمخلص للمجتمع من الآفات الاجتماعية التي استعصت على الفلاحين وأهلكت محاصيلهم؛ ويظهر كذلك أن الولي مستعد أن يشهر كراماته لأي طارئ يصيب المجتمع ويهدد سلامته، فتخليص الولي أبي عبد الله الأبرش أهل ورسفان من آفة الجراد، يدخل ضمن الوظائف الاجتماعية لأولياء المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

2- كرامات إطعام الطعام: شكل العمل على اطعام الطعام للفقراء المدار الحكائي للرواية المناقبية[4]، ولا تكاد تغادر هاته الميزة جلّ أولياء وصلحاء وادي الشلف بالمغرب الأوسط،

[1] المازوني: المصدر سابق، ص 293. ينظر أيضا: ابن الزيات: المصدر السابق، ص 138.

[2] المازني: نفسه، ص 420.

[3] المازوني: نفسه، ص 180.

[4] بونابي: **عصر المتصوفة**، ج 4/ ص 828.

سواء كان ذلك من خلال اطعام زوارهم الواردين القادمين من البلاد البعيدة، أو القيام بجمع الفقراء داخل زواياهم واطعامهم[1]، حتى بلغ الحدّ بأحد الأولياء، أن تصدق بنصيبه من الميراث على الفقراء والمساكين والأرامل من أجل الاستعانة به في توفير أقواتهم[2] بينما كان بعضهم يحرث أرضه وأثناء الدرس يكتال طعاما للفقراء والمساكين من أهل باديته[3].

غير أنه في فترات الأزمة؛ لا يستطيع تلبية حاجيات زواره واعانة الفقراء ومختلف أطياف المجتمع بشكل مباشر؛ فعندها لا سبيل إلا في تفعيل الكرامة خدمة لمجتمعه ومواساته في محنه، ومن ذلك كان الولي أبي يعقوب دفين بني حلوان بساحل مازونة من صلحاء القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، يهتم لشأن الفقراء والمساكين[4]، وحدث أن زاره جماعة من الفقراء برسم الزيارة، كما جرت عليه العادة، فلم يجد ما يطعمهم، فأخذ حبلا وفأسا، وسار إلى مكان وحفر منه ترابا أو رملا واقتلع شيئا من بصل العنصل، وجاء بذلك إلى أهله وأمر زوجته بطبخ الأكل للفقراء، فلما كشفت ما بالحمل، إذا بالرمل تحول دقيقا والعنصل صار لحما سمينا، صنعت لهم منه طعاما كثيرا، فأكلوا من طعام البركات حتى شبعوا[5].

وقد صورت الرواية زهد الأولياء في تفعيل الكرامة خدمة لمآربهم، وذلك أن أهل الولي أبي يعقوب كانوا يعانون ندرة الطعام في بيتهم وذلك ما جاء في قول أهل بيته :" يا سيدي لقد علمت أنه ليس عندنا شيئ نطعمهم"، كما أنهم فرحوا فرحا شديدا برؤية الدقيق واللحم[6]؛ وقد يفسر هذا النوع من الكرامات الوضع الاقتصادي الذي تسيطر عليه القلة والعوز وتتخلله

[1] المازوني: المصدر السابق، ص219- 220.

[2] المازوني: نفسه، ص 289.

[3] المازوني: نفسه، ص 408.

[4] المازوني: نفسه، ص 249.

[5] المازوني: نفسه، ص 274.

[6] المازوني: نفسه ، ص274.

المجاعات وفترات الجفاف[1]، ومن منظور آخر تبدو كتعبير عن الرغبة في الطعام وتسكين للجوع كإسقاط على عصر المؤلف، الذي كله أزمات ومجاعات...[2]

3- كرامات إبراء المرضى: في ظل الأزمة الصحية التي كان يعيشها مجتمع المغرب الأوسط؛ أين كان دائما عرضة للكثير من الأوبئة والأمراض، ويكشف الخطاب المنقبي عن الدور الفاعل للولي في علاج مختلف الأمراض، بنمط مغاير عما ينتهجه الطبيب؛ فتحل الروح محل المادة، أي تحل الكرامة بدل الدواء المركب[3].

وقد تنوعت أساليب وأشكال العلاج عند أولياء وصلحاء وادي الشلف؛ فهناك العلاج بالتفل، وهناك العلاج بكتابة الحجاب، والرقية...

فقد عرف عن الشيخ سيدي واضح(ق7هـ/13م) بركته في ابراء ذوي العاهات لكل من قصده للاستشفاء[4]، كما أنّ من أساليب علاجه للمرضى" كتابة الحجاب"، ومن ذلك الحجاب الحجاب الذي صنعه لزوجة السلطان يغمراسن (634هـ/ 681هـ)[5]، ومنه فإنّ فاعلية العلاج الروحي واللجوء للأولياء لم تبقى حكرا على الفقراء والمساكين؛ فحتى طبقة الحكام وحاشية السلطان أصبحوا يلجؤون للأولياء طلبا للاستشفاء ومن ذلك زوجة السلطان يغمراسن.

---

[1] سلامة العامري: المرجع السابق، ص 311.

[2] شهد عصر المؤلف(النصف الثاني من القرن الثامن الهجري والنصف الأول من القرن التاسع الهجري) العديد من المجاعات التي ضربت المغرب الأوسط، اختلفت مسبباتها، بين بشرية وطبيعية، ينظر: سمية مزدور، **الأوبئة والمجاعات في المغرب الأوسط(588هـ - 962هـ/ 1192م- 1520م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ،جامعة منتوري- قسنطينة، 1429هـ-1430هـ/ 2008م- 2009م، ص 174.

[3] مزدور: نفسه، ص 129.

[4] المازوني : المصدر السابق ، ص 211.

[5] المازوني: نفسه، ص 221- 222.

ثانيا – كرامات إغاثة المظلومين وتأمينهم من الخوف:

أخذت كرامات إغاثة المظلومين والمستجيرين وتأمينهم من الخوف؛ الحيّز الكبير من كتاب صلحاء وادي الشلف للمازوني، حيث ظهر الأولياء حسب المدونة المنقبية، في دور البطل المنقذ لمجتمعه من الظلم والجور وتوفير الأمن والحماية لكل من يستجير بحرمه.

فقد كان الشيخ أبو البيان سيدي واضح، الذي اشتهر أمره في أواسط القرن السابع الهجري(660هـ)، يجير كل من استجار به ودخل في حرم زاويته[1]، ومن كراماته حمايته لأهل مغراوة من اعتداء محمد بن عبد القوي، وذلك أنه لما نزل محمد بن عبد القوي بجيوشه، بوادي رهيو اتجاه زاوية الشيخ واضح، وكان طالب نكاية في أهل مغراوة لثأر بينهم في الحروب، فخاف الناس منه وفروا بخيامهم ومواشيهم نحو زاوية الشيخ سيدي واضح مستجيرين بحرمه، فبرز الشيخ بسواد الليل من مغارته، وتضرع إلى ربه في دفع شره عنهم وأنشد لسان حاله يقول:

انظر إليّ تكرمّا وتفضلا

هذا عبيدك واقف بالباب

وحدّث أنه أصاب محمد بن عبد القوي وجع شديد وانتفخت بطنه، حتى كان يصبّ من فمه ودبره، فحضه بعض خاصته بأن هذا جراء الفعل الذي قام به بإخافته جيران الشيخ سيدي واضح، وما كان من الغد حتى صعد عبد القوي للشيخ خاضعا ذليلا ، وكفّ أيديه عن إذاية أهل مغراوة[2]، وبالتالي فتدخل الشيخ لحماية المستجيرين بحرمه؛ تعدّ خاصية اتّصف بها

[1] المازوني، المصدر السابق، ص 211.

[2] نفسه، ص 223.

أولياء المغرب الأوسط، وخاصة الداخلين إلى حرمه فقد كسب حرم الأولياء قدسية كبيرة خلال العصر الوسيط.

وفي كرامة مشابهة؛ استطاع الشيخ سيدي يعقوب (من صلحاء وادي الشلف خلال القرن 08هـ/ 14م) ردّ أموال الناس وأثاثهم ومواشيهم، التي سلبها جيش ابن غانية من المجاورين لزاوية الشيخ وحرمهن وذلك بمجرد أن خاطب الشيخ أبي يعقوب قائد الجيش بقوله :"كيف يغير جيشك على زاويتي..."، أمر قائد الجيش برد جميع ما سلبوه فردّ من فوره[1]،

وفي مشهد آخر من مشاهد الظلم والتعدي؛ قام عبد القوي بن العباس التجاني" أمير قبائل توجين" بالاعتداء على زاوية الشيخ أبي يعقوب(ق8هـ/14م) ،عندما علم بأن ذخائر أهالي مغراوة حصلت كلها بزاوية الشيخ، فسار بجيشه واستلبوا كل ما وجدوا فيها؛ حتى أنهم انتهكوا الحريم، وجردوا المسجد، وكل ذلك على عين الشيخ؛ فما كان من الشيخ إلا أنه كرر قوله :"يا عبد القوي، يا عبد القوي..." فما وصلوا إلى المكان المسمى " تيزي أن يغمراسن"، حتى خرجت أحشاؤه من دبره وأخذه وجع شديد حتى مات؛ وعندها ردّ بنو توجين جميع ما استلبوه من الزاوية وأهل مغراوة المستجيرين بحرم الشيخ، حينما رأوا مصير أميرهم[2]؛ وهنا يظهر الدعاء كسلاح فعال وكرامة، يشهرها الولي في ردّ ظلم والانتقام من ظالم واسترداد أملاك الأهالي من أيدي المغتصبين.

ولم يقتصر دور الولي بالوقوف في وجه المعتدين على زاويته وعلى المجاورين بحرمه؛ بل تعدى ذلك إلى الوقوف في وجه السلاطين؛ ومن ذلك استطاع الامام سيدي عزوز[3] افشال حركة السلطان موسى بن عثمان الزياني نحو مكناسة، وتفيد الرواية أن السلطان أعدّ

---

[1] نفسه، ص 266- 267.

[2] نفسه، ص 267- 268.

[3] الامام سيدي عزوز هو امام زاوية الشيخ الولي أبو البيان سيدي واضح(ق 7هـ/13م)، لازمه بجبل وافرشان إلى غاية وفاته، ينظر: المازوني، نفسه، ص 460.

حملة و كان متجها نحو الشرق، فلما جاور أهل مكناسة في طريقه، بعث خدامه ليأتوه بالضيافة فعمد اليهم أوغاد من مكناسة فضربوهم وألحقوا بهم ضررا كبيرا، فاستعظم السلطان الأمر وقرر معاقبتهم وجهز جيشا لذلك، وفي هذه الأثناء كان أهالي مكناسة يعيشون الرعب والخوف واجتمعوا كبيرهم وصغيرهم عند زاوية الشيخ سيدي عزوز، وبمجرد وصول السلطان إلى خناق وادي رهيو، اخترق الشيخ المسافات إلى أن وصل إلى السلطان، فعمد اليه وهو راكب على فرسه وقبض لحيته وخنقه، وأمره بالعدول عن معاقبة أهل مكناسة بما فعل أشرارهم؛ ففعل ما أمره ورجع إلى تلمسان وزال خوف أهل مكناسة[1].

يتضح من خلال هاته الروايات الكرامية؛ أن مجمل كرامات إغاثة المظلومين وتأمينهم من الخوف، هي وليدة فترة القرنين السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، التي زخرت بها مدونة صلحاء وادي الشلف؛ والتي تعبر عن حالة اللا أمن وانعدام الاستقرار التي طبعت البلاد خلال هذه الفترة؛ ومن خلال هذه النماذج حاول المازوني كل مظاهر الظلم التي سقطت بظلالها على المجتمع؛ فقد شهد عصره الكثير من الاضطرابات والفتن، التي أضعفت ظل السلطان وقوته، وملئ الفراغ الحاصل شيوخ القبائل والأمراء من خلال اشاعة الظلم وكل أشكال التعدي، التي كانت لها انعكاسات سلبية جعلت المجتمع الزياني يعيش أزمة خوف وقلق دائمين.

وخلاصة القول؛ أن "مدونة صلحاء وادي الشلف"، بالرغم من كونها خصصت لذكر مناقب وكرامات صلحاء وادي الشلف، إلا أنها حملت تطلعات انسان المغرب الأوسط ورد فعله أثناء الأزمات، على غرار حاجته للطعام، وحاجته للأمن...، وقد " تطلع إليها مجتمع المغرب الأوسط كمنقذ له من أزمات الجوع والجفاف...وعلى الرغم من محدودية فاعليتها في انهاء الأزمة إلا أنها شكلت مركبا أساسيا في طمأنة المجتمع؛ بأن هناك قوة تحميه"[2].

[1] المازوني، نفسه، ص 459 – 461.

[2] بونابي الطاهر: **عصر المتصوفة**، ج 4/ ص 828.

الفصل الثالث

القراءة العقلانية لنص الكرامة الاجتماعية

المبحث الأول – الطابع العقلاني في الكرامة الاجتماعية :

تنتمي الكرامة الاجتماعية، إلى صنف الكرامات المرتبطة بأحداث التاريخ والواقع والتي تعكس طريقة الانسياب الرفيعة التي أحسن أصحاب المدونات المناقبية، إدراجها في النص التاريخي، فجاءت مرتبطة بأحداث التاريخ وظواهره المختلفة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ أي بشروط تاريخية سمحت بقراءتها على بساط الأوضاع العامة من زاوية الخلفيات والأبعاد المنتجة لها[1]، من هذا المنظور سنحاول البحث فيما مدى عقلانية الكرامة الاجتماعية؟ أو بصيغة أخرى هل تمكن أصحاب المناقب من وضع لمساتهم العقلانية داخل نصوص الكرامات الاجتماعية ؟

أولا – كرامات انزال الغيث :

تعتبر ظاهرة القحط والجفاف، من بين أخطر الأزمات التي شهدها المغرب الأوسط، خلال العهد الزياني؛ وتحدث أزمة القحط بفعل انحباس المطر عن النزول أو يحدث تأخر نزول الأمطار عن موعدها المعتاد، ومعلوم ما ينجر عن ظاهرة القحط والجفاف من حدوث كوارث على كافة المستويات الاجتماعية، ومن ذلك حدوث المجاعات وضيق المعيشة؛ حيث أن قلة المطر يؤدي إلى قلة الزرع والثمر وتكون نتيجته حدوث المجاعة إذا طال زمن القحط حسب ابن خلدون[2]

وفي ظل عجز انسان المغرب الأوسط عن مواجهة أزمة العطش والجفاف؛ أصبح يبحث عن المنقذ والمخلص من هاته الأزمات، فوجد في الأولياء والمتصوفة ملاذا آمنا يفرّ اليه؛ وذلك لما كان ينسب إليهم من خوارق وكرامات كفيلة بإخراج المجتمع من أزمة العطش[3]، وقد استطاع أصحاب المؤلفات المناقبية وليدة الفترة الزيانية، رسم صورة مشرفة حول الدور

---

[1] بونابي الطاهر: **عصر المتصوفة**، مرجع سابق، ج4/ ص 805.

[2] ابن خلدون: **المقدمة**، ص 376.

[3] عموري عبد العزيز: المرجع السابق، ص 19.

الفاعل الذي جسده أولياء المغرب الأوسط، في انقاذ المجتمع من أزمات العطش والقحط، عن طريق تفعيل الأداء الكرامي من دعاء وبركة...

ومن ذلك استسقى أهل العباد بوادي الشلف في زمن قحط وجفاف، بفعل بركة الشيخ الولي أبو البيان سيدي واضح(من صلحاء القرن 7هـ/ 13م)، حيث نزل المطر وامتلأت آبارهم وسواقيهم وانتجعوا بمجرد نزول الشيخ سيدي واضح عند أهل العباد[1].

ومن معرض الرواية الكرامية التي نقلها المازوني عن معاصريه من حفدة الشيخ أبو البيان سيدي واضح ؛ يتضح أن هناك محاكاة لحقل السيرة النبوية، فقد جاء في الرواية أنه قال لإمامه سيدي عزوز :"سر بنا إلى كهوفنا بجبل وافرشان...فاصعد بنا إلى الغيران نقيم بها أياما"[2]، وتظهر المحاكاة من خلال توجه الشيخ سيدي واضح وامامه سيدي عزوز نحو "الغيران" بعد أن اشتد عليهم الزمان، والتي تحمل رمزية لها بالسيرة النبوية، حين لجأ الرسول صلى الله عليه وسلم صحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى غار حراء بعد ان استحال عليهم البقاء في مكة، فنلاحظ في كلتا الروايتين هناك بحث عن تفريج كرب والبحث عن مخرج للمعضلة.

وتظهر الرواية الكرامية في محاولة التماهي ومحاكاة مع المثال والنموذج النبوي، وذلك من خلال الرواية التي أوردها المازوني، والتي تشير إلى بركة الغيران والرواية عن أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال:" إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قال لابنه: إن حدث في الناس حدث فائت الغار الذي اختبأت فيه أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيك رزقك غدوا وعشيا"[3]، وعلى الرغم من امكانية صحة الحديث أو بطلانه، إلا أنّ وروده مباشرة بعد

---

[1] المازوني: **صلحاء وادي الشلف**، ص 195.

[2] نفسه، ص 192.

[3] الحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ، وقال : رواه البزاز عن موسى بن مطير وهو كذاب. هذه القصة يذكرها القصاص و الوعاظ بإسهاب، والخبر الذي جاءت به هذه باطل، والقصة واهية لما بها من كذابين و متروكين، فموسى بن

الرواية الكرامية فيه إشارة لبركة الغار وما يصيبه الانسان من تفريج كرب حين الاختلاء في الغار وما فيه من تفرغ لعبادة الله تعالى والتضرع اليه بتيسير الحال؛ والغاية من محاكاة النبوة هو اكتساب للشرعية في مجتمع بنيته الأساسية إسلامية[1].

ومنه فتماهي الرواية المناقبية، مع النموذج النبوي يزيل الشكوك لدى القارئ وتبدو الرواية منطقية في حالة وقوعها في السابق ومع شخص النبي صلى الله عليه وسلم، باعتباره قدوة المسلمين كافة، والنموذج الأسمى لهم، ولذلك فاختيار المازوني للمثال النبوي ليس اختيارا اعتباطيّا، وإنما محسوب بخطوط عقلانية مراعيا فيها خصوصية البيئة الاسلامية.

وبالإضافة إلى طريقة المحاكاة التي أحسن أصحاب المناقب تصويرها، لإعطاء مصداقية للرواية وابعاد الشكوك لدى القارئ، والتي توحي إلى طريق العقل الذي سلكه أصحاب المناقب في نقل الروايات الكرامية، فإن السياق العام والظرفية التاريخية التي على إثرها صاغ أصحاب المناقب رواية كرامات الاستسقاء، تميزت بفترة جفاف وأزمات قحط شهدها المغرب عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة.

وعلى الرغم من أن نص الرواية الكرامية، لا يحيلنا إلى زمن الأزمة بالضبط، وحتى زمن وفاة الشيخ أبو البيان سيدي واضح لا تذكرها المصادر، إلا أنه في إشارة من المازوني (ت 833هـ/ 1429م) يذكر أن الشيخ سيدي واضح، كان على قيد الحياة أثناء تولية السلطان عثمان[2] بن يغمراسن سنة (681هـ/ 1282م) وذلك في قوله :" وكان الشيخ سيدي واضح-

---

مطير كذاب وأبوه متروك. ينظر: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:** دار الفكر، بيروت-لبنان، 1991م، ج3/ ص 640، نقلا عن: غرداوي نور الدين، **محقق كتاب صلحاء وادي الشلف**، ر نفسه ، ص 193.

[1] شغموم : المرجع السابق، ص 268.

[2] هو **عثمان بن يغمراسن بن زيان** ، بويع بعد وفاة أبيه سنة(681هـ/ 1282م) عرفت فترة حكمه صراعات مع الحفصيين توفي سنة (693هـ/1293م) أثناء حصار مدينة تلمسان من طرف أبي يعقوب المريني . ينظر: ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 49- 50.

رضي الله عنه– إذ ذاك على قيد الحياة..."[1]، وقريبا من هذا الزمن، يذكر السلاوي أنه :" في سنة ثلاث وثمانين وستمائة(683هـ) كان بالمغرب قحط شديد لم ير الناس قطرة ماء حتى كان اليوم السابع والعشرون من رمضان"[2].

وهناك شهادة للرحالة العبدري (توفي نحو720هـ) عند وصوله إلى مدينة تلمسان عاصمة بني زيان سنة (688هـ/ 1289م)، ووصف دقيق لحالة القحط والعطش الذي حل بالبلاد في قوله :" ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدناها بلدا حلّت به زمانة الزمان. وخلت به حوادث الحدثان. فلم تبقى به علالة ولا يتبصر في أرجائه للظمئان بلالة"[3]، كما يذكر ابن خلدون (ت 808هـ/ 1405م) أنه "أصاب الناس أعوام اثنتين وتسعين قحط شديد حتى وهنوا لها"[4].

من خلال هذه النصوص التاريخية الثلاثة؛ يتضح أن بلاد المغرب ككل، قد شهدت أزمات قحط و جفاف على مدار العقدين الأخيرين من نهاية القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، ويفترض أن الشيخ سيدي واضح مازال على قيد الحياة في هذه الفترة حسب ما ذكر المازوني، ولذلك نعتقد أن الرواية المناقبية قد انزاحت نحو المعقول من خلال تزامن كرامة استسقاء أهل العباد بالشيخ الولي صالح سيدي واضح في زمن ساده العطش وقلة الأمطار.

وفي مشهد من مشاهد الأزمة وقع الناس في شدة كبيرة بسبب انقباض المطر؛ استسقى الناس بالشيخ محمد بن يوسف السنوسي الذي دعا ربه 18 يوما[5]، وقد استطاع الملالي

---

[1] **صلحاء وادي الشلف**، مصدر سابق ، ص 222.

[2] السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى– الدولة المرينية** ، تح : جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء– المغرب، 1954م، ج3 / 89.

[3] **الرحلة**، المصدر السابق ص 27.

[4] **العبر**، ج7 / ص 290.

[5] الملالي: المصدر السابق، ص 112.

صياغة الرواية الكرامية في قالب عقلاني محسوب بدقة عالية، ومن ذلك أن الناس كانوا يطلبون من محمد بن يوسف السنوسي الدعاء كي ينزل المطر فيجيبهم بقوله تعالى :﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ** مِن بَعْدِ **مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾[1]، وهنا تظهر الرواية المناقبية وقد انزاحت نحو المعقول؛ فلم يكن المطر ينزل لحينه عند دعاء السنوسي مباشرة، فتتماهى الرواية المناقبية مع النص القرآني ولا تتجاوز، حيث أكمل الملالي روايته سالكا سبيل العقل[2] في قوله :" ولم تمض أيام إلا والمطر قد نزل واستسقى الناس"[3]، وهوما يشكل تطابقا صريحا مع القرآن الكريم، وهو أن الغيث يأتي من بعد قنوط الناس[4].

ويظهر النص المناقبي أكثر عقلانية؛ في طرحه قضايا الاستسقاء والتي تكرر ورودها ضمن نطاق المنطقة الشمالية الغربية، حيث أن ظاهرة الجفاف بالمغرب الأوسط كانت أكثر حضورا بالقسم الشمالي الغربي، أي تلمسان، وهران، والشلف؛ لوقوعها في ظل تساقط المطر قياسا بحالة الجفاف في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية[5]، وهو ما يفسر وصف يحي ابن ابن خلدون لصوفية المنطقة الشمالية الغربية" بأولياء الله المستسقى بهم الغيث"[6]، ونجد نفس نفس الأمر ينطبق على كرامات الاستسقاء عند صلحاء وأولياء المغرب الأقصى، حيث يقول أحد الباحثين :" ويظهر أن وطأة الجفاف وما يترتب عنه من مجاعات وأوبئة، كانت كبيرة في الأراضي البورية، أو ذات المياه الجوفية الغائرة مثل، دكالة، وعبدة، و حاحة وغيرها من جهات الحوز،...تخصص أولياء هذه المناطق التي تعاني عوزا مائيا في الاستسقاء"[7]، كما يعدّ من النادر العثور في كتب المناقب على كرامات الاستسقاء لأولياء مقيمين بالمناطق

---

[1] سورة: الشورى، الآية 26.

[2] بونابي الطاهر: المرجع سابق، ج4 / ص 818.

[3] الملالي: المصدر السابق، ص 113.

[4] بونابي الطاهر: المرجع السابق، ج4 / ص 818.

[5] بونابي: نفسه، ص 818.

[6] **بغية الرواد**، ج1 / ص 23.

[7] بولقطيب، المرجع السابق، 35.

المطيرة[1]، وبالتالي نلاحظ كيف أن أصحاب المناقب حاولوا إضفاء طابع العقلانية، في نقلهم لكرامات الأولياء المترجم لهم، كي لا تبدو الكرامة صادمة للعقل والفكر البشري.

كما أن النص المنقبي؛ جاء مطابقا لخصوصية البيئة الاسلامية من خلال التماهي مع كل شكل من أشكال الثقافة الاسلامية، لأن مؤلف المناقب يدرك أنه يوجه خطابا لعقل بشري ذو ثقافة اسلامية، وأصحاب المؤلفات المنقبية ليسوا بمعزل عن بيئتهم وهموم مجتمعهم فهم يرصدون آمال وتطلعات المجتمع من خلال الخطاب الكرامي.

ثانيا – كرامات ابراء المرضى :

في ظل الأزمة الصحية التي كان يعيشها مجتمع المغرب الأوسط خلال العهد الزياني؛ نتيجة الظروف التاريخية، من حروب وأزمات سياسية واقتصادية...، وما ينجم عنها من مجاعات وأوبئة و انتشار الأمراض المستعصية التي كادت تفتك بالمجتمع؛ وفي" ظل انحسار دور الطبيب في كثير من الأحيان عن مداواة العديد من الحالات المرضية المزمنة"[2]، برز دور الأولياء في المجتمع وذلك لاعتقاد الناس في قدرتهم على شفاء المرضى عن طريق الرقى والتفل والريق ولمس مواضع الداء[3]، وحتى بواسطة الدعاء..

1- الرقية :

يعتبر العلاج بالرقى؛ من الأساليب التي اشتهر بها أولياء المغرب الأوسط في ابراء مرضاهم، وكانت علاج للكثير من الأمراض المستعصية، فقد كان ابن فرغوس التلمساني

[1] بولقطيب: نفسه، ص 36.

[2] مزدور: المرجع السابق، ص 174.

[3] بونابي الطاهر: **عصر المتصوفة**، ج 4 / ص 815.

يرقي المرضى ويتماثلون للشفاء برقيه[1]، كما اشتهر أبو العلاء المديوني (ت735هـ/ 1334م) بالرقي المبرئ للعاهات ومداواة الكثير من الأمراض[2]،

2- البصق أو التفل :

يعد البصق أو التفل من الأساليب التقليدية في العلاج؛ حيث سار في اعتقاد المجتمع أن تفل وريق الصالحين والأولياء، فيه بركة الشفاء والإبراء من الداء، فقد استطاع الشيخ الحسن أبركان شفاء مصاب بمرض جلدي يسمى" آكلة" بواسطة البصاق على موضع الداء، بعد أن أعيا داؤه الأطباء[3]،("كانت وفاته –رحمه الله– أواخر شوال من سنة سبع وخمسين وثمانمائة"[4]،وفي سنة 856هـ حلّ بالمغرب مرض الطاعون " وفي هذه السنة كان وباء عظيم بالمغرب يسمى " وباء عزونة"[5]، ونفترض أن وباء الطاعون قد شمل المغرب الأوسط، وان صح افتراضنا يكون الشيخ ابركان قد توفي بفعل الوباء، كون عجز الأولياء عن معالجة مرض الوباء، ولكن ابن صعد اكتفى بذكر سنة وفاته) وحسب أحد الباحثين؛ أن هذا التفل غير المصحوب بقراءة شيئ من القرآن أو الدعاء، يرمز إلى أن بصاق الولي وحده فيه بركة وسبب للشفاء، وأنها كرامة خصها الله بهم لتقواهم وورعهم كما تصورها المصادر المنقبية[6]، وقد كان أبو العباس ابن مرزوق يشفي المرضى[7]، ومن ذلك علاجه لولده ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/ 1379م) الذي كان في صغره كثير الامراض بالدماميل والأورام

[1] ابن مرزوق : **المناقب المرزوقية**، ص 217.

[2] ابن مريم : المصدر السابق، ص 70.

[3] ابن مريم : المصدر السابق، ص 80. ينظر أيضا: الملالي، المصدر السابق، ص70.

[4] ابن صعد : **روضة النسرين**، المصدر السابق، ص 135.

[5] ابن القاضي: **لقط الفرائد**، ج 28/ ص 761؛ نقلا عن: مزدور سمية : المرجع السابق، 136.

[6] نفسه، ص 177.

[7] ابن مرزوق : **المناقب المرزوقية**، المصدر السابق، 228.

الصعبة، حتى أن الأطباء عجزوا عن معالجته بالفصد، ولكن تفل والده على موضع الداء كان كافيا لشفائه من الأمراض، ما جعل الأطباء يتعجبون من ذلك[1].

3- الدعاء :

يعد الدعاء من أبرز أشكال و أساليب العلاج التي اضطلع بها أولياء وصلحاء المغرب الأوسط خلال العهد الزياني؛ فقد استطاع الشيخ السنوسي شفاء تلميذه الملالي، من داء الرمد بمجرد وضع يده اليمنى على موضع الداء ودعا ساعة من الزمن، وفي ظرف نحو ثلاثة أيام امتثل الملالي للشفاء[2]، وكان والد ابن مرزوق الخطيب مستجاب الدعاء[3]، فلما أصيب بشلل في قدميه، كان خير دواء اتبعه هو الدعاء والصلاة على النبي إلى أن تماثل للشفاء بعد أن عجز الأطباء عن معالجته[4].

من خلال هذه النماذج، يتضح أن الأولياء والصلحاء، كان لهم دور فاعل في مواجهة العديد من الأمراض التي أصابت المجتمع الزياني، وذلك من خلال تفعيل الأداء الكرامي ، والمتمثل في بركة الولي، غير أنّ "النص المناقبي في سرده لبركة الشفاء عند الأولياء في شفاء المرضى"[5]، يظهر الطريقة العقلانية التي حيك بها هذا النص وكأنه مضبوط بخطوط معلومة، إذ أنه لم يقحم بركة الصوفي في نطاق الأمراض المعدية ومنها الطاعون مثلا لأن ذلك فوق طاقة الصوفي وقدراته[6].

ومن ذلك مثلا، أن ابن القنفذ وفي سياق حبكه لمناقب والده الحسن الخطيب ذكر أن وفاته كانت بمرض الطاعون "الوباء العظيم العام" سنة (750هـ/ 1348م)، واستبعد بركة

---

[1] نفسه، 231.

[2] الملالي: المصدر السابق، ص 111.

[3] ا ابن مرزوق : **المناقب المرزوقية**، المصدر السابق، ص 231.

[4] ابن مرزوق: نفسه، ص 126- 127.

[5] بونابي: **عصر المتصوفة**، المرجع السابق، ج 4 / ص 816.

[6] نفسه، ن، ص.

الشفاء من الموقف، وانساق مركزا على المحصلة العلمية التي كان يتمتع بها والده[1]، والتي أنتجت في مرض الطاعون كداء تنتفي عنده البركة، مؤلفه بعنوان" المسنون في أحكام الطاعون"[2].

كما تجدر الاشارة؛ أن الكثير من الأولياء كانت وفاتهم بفعل الأوبئة والأمراض المستعصية، والتي تنتفي عندها قوة وقدرة الأولياء في إيجاد علاج لها، ومن ذلك توفي الولي الصالح الماواسي بمرض الزرب[3]، وتوفي الولي أحمد بن عبد الرحمان الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني في زمن الوباء سنة(845هـ)[4]، كما هلك أبو موسى أخو أبوزيد" ولدي الامام" في زمن الطاعون سنة (749هـ)[5]، وحصد الطاعون الأسود سنة 871هـ، الكثير من العلماء والأولياء، من بينهم محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي، الشهير بابن العباس التلمساني وايضا سيدي محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني قاضي الجماعة بتلمسان وغيرهم[6].

ثالثا – كرامات إغاثة المظلومين وتأمينهم من الخوف :

في ظل الخوف وحالة اللاأمن التي أصبح يعيشها المجتمع الزياني، جراء كثرة الفتن والحروب التي صاحبت أغلب فترات الدولة الزيانية، ونتيجة الشعور بالظلم أصبح المجتمع يبحث عن ملاذ آمن وحلول لأزماته المتكررة، ونتيجة لغياب السلطة الفعلية، التي يفترض أن تراعي مصالح المجتمع؛ برز الأولياء كفئة اكتسبت شعبيتها بفعل مناهضتها للظلم

---

[1] **أنس الفقير**، ص 43– 47.

[2] بونابي : **عصر المتصوفة**، ج 4/ ص 816.

[3] ابن صعد : **روضة النسرين**، المصدر السابق ، ص 229.

[4] ابن مريم : المصدر السابق، ص 43.

[5] نفسه، ص 126.

[6] نفسه، ص 224.

المسلط على المجتمع والفرد الزياني، وذلك من خلال تفعيل الأداء الكرامي في بعض الأحيان لنصرة المظلومين والانتقام الفوري من الظالم في كثير من الأحيان.

ومن القرائن الدالة على ذلك، استطاع أبو البيان سيدي واضح(من صلحاء القرن 07هـ/13م)، حماية أهالي مغراوة المستجيرين بزاويته بوادي رهيو، من العامل محمد بن عبد القوي الذي أدخل الرعب والخوف في الأهالي، فما كان من الشيخ إلا أن دعا ربه في رد الظالم، فتقرر أن محمد بن عبد القوي أصابه وجع وانتفخت بطنه حتى كان يصب من فمه ودبره، فما كان الغد حتى عفا عبد القوي عن الأهالي ورجع عن اذايتهم[1]، وقد تمكن الولي محمد بن عمر الهواري(ت 843هـ/ 1439م)، الاقتصاص من العامل عثمان بن موسى بن المسعود العامري، الذي استولى على أموال لأصحاب الشيخ، كما أسرف في ظلمه من خلال تقييده لخديم الشيخ الذي أرسله لاسترداد حق الرجل، وبدعوة من الشيخ على عثمان هذا، عثر به الفرس في نفس اليوم ومات، فردّ للرجل ماله وأطلق سراح الخديم[2].

كما استطاع الولي سيدي عزوز افشال حركة السلطان الزياني موسى بن عثمان الذي حرك جيشه لضرب أهل مكناسة بالمغرب الأوسط، الواقعة في خناق وادي رهيو، لفعلة قام بها أوغاد من مكناسة حينما اعترضوا لخدام السلطان، فما كان من الشيخ إلا أن اخترق الجيش حتى وصل للسلطان وخنقه يرغبه في العدول عن مآخذة مكناسة ففعل السلطان ورجع لتلمسان[3]، كما كان وعيد الولي " الهزميري" كافيا وسببا رئيسيا، لرفع الحصار المريني على مدينة تلمسان حسب الخطاب المنقبي[4].

وفي ظل تكرر عمليات الغزو على مدينة تلمسان من قبل الحفصيين، استطاع الولي الحسن أبركان(ت 857هـ/ 1453م) افشال حملة السلطان الحفصي أبو فارس(796هـ –

[1] المازوني : المصدر السابق، ص 223– 224.

[2] ابن صعد: **روضة النسرين**، 112– 113.

[3] المازوني، المصدر السابق، ص 460–461

[4] ابن القنفذ : **أنس الفقير**، ص 70.

837هـ/ 1394م – 1433م) وذلك بعد أن ضيق السلطان الحفصي على أهل تلمسان تضييقا شديدا، وبعد إلحاح طويل من أهل المدينة على الشيخ أبركان لكي ينزل للسلطان في شأن فك الحصار والعدول عن حملته، فرفض الخروج إليه واكتفى بقوله:" لا أخرج إليه والله سبحانه يحكم بيننا وبينه"، فحدث أن رأى السلطان الحفصي في المنام الشيخ أبركان في تلك الليلة وبيده سيف وهو صاعد ونازل في مدارج البيت، فتاب من ليلته ورجع عما عزم عليه[1].

من خلال هذه القرائن، يتضح أن كرامات إغاثة المظلومين وإقرار الأمن داخل المجتمع الزياني، قد عرفت رواجا كبيرا في مدونة المناقب الزيانية، يفسرها حالة اللا أمن التي طبعت المجتمع طيلة العهد الزياني، بفعل الحروب المتواصلة مع جيرانها الحفصيين من الشرق والمرينيين من جهة الغرب، والخطر الصليبي المسيحي من جهة البحر، وكثرة الفتن الداخلية وخاصة بين أسرة البيت الزياني حول الحكم، وعوامل كثيرة ساهمت في خلق حالة الفزع والخوف الدائمين في نفسية الانسان المغربي.

كما يظهر من خلال هذه القرائن، الطابع العقلاني الذي أدرجه أصحاب المناقب في النص المنقبي، حيث لم يقحم بركة وكرامات الأولياء في ردّ حملات النصارى التي تأتي من جهة البحر، لكونها خارج عن نطاق الصوفي وقدراته؛ بل اكتفى بطرح قضايا إغاثة المظلومين والمستجيرين وردّ الحملات العسكرية، التي تدخل ضمن المجال المغاربي وكذا البيئة الاسلامية؛ على غرار حملات الحفصيين والمرينيين وعمال الأقاليم، كون الكرامات ظاهرة وخاصية اسلامية، ولذلك لا نعتقد أن وقعها على النصارى سيكون له أثر ولعلّ هذا ما عناه محمد مفتاح حول فعالية الخطاب، وضرورة وجود منطلقات مشتركة ليحقق الخطاب مبتغاه في قوله:" ففاعلية الخطاب اذن وسلطته واحداثه التأثير المرغوب تتوقف على معرفة

[1] ابن مريم : المصدر السابق، ص 79– 80.

منطلقات المتكلم (المرسل) والمخاطب (المرسل اليه). ولهذا كلما كانت المنطلقات المشتركة كثيرة أو موحدة كانت فرصة التفاهم أكثر وفعالية الخطاب أعمق"[1].

وتجدر الاشارة إلى أنّ التصوير المنقبي، على الرغم من عدم اقحامه لبركة وكرامة الولي في ردّ العدوان الخارجي وخاصة النصارى، إلا أنه لم يتجاهل مثل هذه الأحداث؛ بل جعل الولي يتفاعل مع هكذا أحداث مستثنيا توظيفه للكرامة في ثوبها الخارق على غرار؛ فك الأسرى؛ وافتداء أسير؛ وتسكين مخاوف السكان بعدم عودة النصارى، والتي تدخل ضمن الفعل الاجتماعي في نشاط الصوفية، ومن الأمثلة على ذلك، أن ابن صعد في اطار سرده لكرامات الشيخ الولي أحمد الغماري، استطاع تجاوز فكاك الأسرى من أيدي النصارى بتجاوز الفعل الخارق للولي؛ والتركيز على قمية الصدقات والنذور التي كانت ترد الشيخ الغماري من الأراضي البعيدة بما فيها "من الذهب المائة والمائتان"، ومع ذلك لم يكن يدخر منها شيئا، بل يوزعها على الفقراء واستغلها في فكاك الأسرى من أيدي النصارى[2]، وبالتالي نلاحظ أن ابن صعد لم يقحم كرامة ردّ الأسرى من النصارى لكونها خارج عن قوة وقدرة الولي، كما اكتفى في سرده لبركة الشيخ الماواسي(من صلحاء القرن08هـ/14م) في كونه نزل بمكان مخوف كان ينزل به العدو وأسر فيه المسلمين، فلما نزل به، حفظ الله ذلك الموضع، ولكن لم يظهر أي تصادم بين الولي و "العدو"[3].

كما حصر ابن مريم المديوني، رد فعل الأولياء اتجاه خطر النصارى بتسكين مخاوف الناس، ومنها استشارة ابن مريم وأفراد عائلته للشيخ حدوش بن تيرت العبد الوادي، في شراء بيت أو مواصلة الكراء كونهم كانوا خائفين من عودة النصارى مرة ثانية، فكان جواب الشيخ أن أمرهم بالشراء وطمأنهم بأن النصارى سيدخلون تلمسان مرة واحدة ككرامة تنبؤية، وتظهر الطريقة العقلانية للنص المنقبي في عدم اقحام قدرة وكرامات الولي في إبعاد خطر

[1] محمد مفتاح: المرجع السابق، ص 213– 214.

[2] ابن صعد : **روضة النسرين**، ص 186، 188.

[3] نفسه، ص 226.

النصارى، وإنما اكتفى بكرامة تنبؤية تزرع بعض الطمأنينة في نفوس الساكنة، وواصل ابن مريم قوله:" ...وله كرامات كثيرة لا تحصى"[1]، وعلى الرغم من أن النصارى دخلوا تلمسان لأكثر من مرة على عكس ما جاء في الرواية[2]، إلا أنها تظهر هاجس الخوف والقلق، الذي كان يعيشه المجتمع جراء حملات النصارى المتكررة؛ وما مشاورة الولي حدوش بن تيرت العبد الوادي إلا تعبير عن آمال وتطلعات المجتمع ورغبته في الخلاص من كل أشكال الظلم و التعدي، التي باتت تهدد أمنه واستقراره.

المبحث الثاني- غاية ومقاصد الكرامة الاجتماعية :

الهدف والغاية المرجوة من وراء طرح هذا المبحث؛ هو محاولة الوصول إلى غايات ومقاصد الكرامة الاجتماعية، من خلال طرح الأسئلة التالية: هل الكرامة الاجتماعية تحمل في خطابها مشروع مجتمع متكامل؟ أم على النقيض من ذلك، استغلت في تحقيق أغراض ومآرب ذاتية تخدم ايديولوجيات ومصالح معينة، عكف عليها أصحاب المدونات المناقبية؟.

أولا- الكرامة والمجتمع المتكامل:

من خلال المواضيع التي طرحتها الكرامة الاجتماعية؛ يتضح أنها حاولت أن تناهض الوضع الراهن، بل وايجاد حلول للأزمة التي كان يعيشها المجتمع خاصة ما تعلق بالفئات الهشة والبسيطة، ولعلّ هذا ما عبّر عنه القادري بوتشيش بقوله :" إن الكرامة الصوفية عبرت عن واقع يعج بالتناقضات وارتبطت بالشرائح الدنيا من عامة الناس. كما أنها ناهضت المجتمع السائد، وشكلت طرفا سياسيا خفيا كان له توجهاته ومواقفه. وطرحت بطريقتها سبيل ذلك معارضة صامتة"[3]، ويتضح ذلك من خلال الكم الهائل من الكرامات التي احتوتها

---

[1] ابن مريم : المصدر السابق، ص 93 – 94.

[2] **حول تحوير الخطاب المنقبي للحدث التاريخي**، ينظر : لدرع أمال، المرجع السابق، ص 182– 184.

[3] بوتشيش: **الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية**، ص 113.

مدونة المناقب الزيانية، أنها سعت لخلق مجتمع متكامل، ومحاربة كل عارض يواجه المجتمع، ويهدد أمنه واستقراره.

ففي أزمات الجوع مثلا، تظهر الكرامة كمنقذ للمجتمع وذلك من خلال توفير الطعام كسلاح يشهره الصوفي للخروج من الأزمة، فقد عرض الصوفي يحي بن عبد الله محمد بن عبد العزيز على السلطان الزياني، امداده بالقمح فقد كان يمتلك هرياً من القمح لا ينضب وذلك في أحد المجاعات الشديدة في القرن 9هـ/ 15م حتى تعطلت المساجد منه وانغلقت،[1] دلالة على أن بركة الولي وكرامته هي التي جعلت الهري يغطي احتياجات السلطان ورعيته، وكذا تظهر تفاعل الولي مع مجتمعه أثناء الأزمات.

كما تظهر كرامات إغاثة المظلومين واستجارة الخائفين، كلما غاب الأمن وساد الخوف داخل المجتمع، والتي يفسرها حالة اللا استقرار الذي ساد مجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني نتيجة للحروب والصراعات التي خاضها بني زيان مع جيرانهم من الحفصيين والمرينين وحتى مع النصارى.

بالإضافة إلى كرامات ابراء المرضى، حيث عرفت رواجا في مدونة المناقب الزيانية ، وذلك لما عرف عن الأولياء نجاعتهم في شفاء العديد من الأمراض التي كانت تعترض المجتمع والفرد الزياني، على غرار الأمراض الجلدية، وأمراض الدماميل والأورام، ورمد العيون...الخ[2].

ومن خلال هذه الوظائف التي اضطلعت بها الكرامة، ومن ظاهر نصوصها؛ اتضح أنها حاولت معالجة نقائص المجتمع و الوقوف ضد كل عارض يعترضه من مجاعات وأوبئة وكل ما يهدد استقرار المجتمع وأمنه، وبالتالي سعيا وراء تحقيق مجتمع متكامل، ولكن هل

[1] ابن مريم : المصدر السابق، ص 307.

[2] للإطلاع على كراما ت ابراء المرضى، ينظر : الفصل الثالث، المبحث الأول(ثانيا– كرامات ابراء المرضى)، ص 59–61.

يمكن الاقرار بهذه الوظائف التي تحمل سمات الخلاص الاجتماعي، والتسليم بها دون الخوض في مضمراتها الخفية؟ وهل يمكن القول بأن الكرامة الاجتماعية قد استغلت في مآرب تخدم مصالح أصحاب المؤلفات المناقبية؟.

ثانيا – الكرامة الاجتماعية وذاتية المؤلف:

لعلّ الهدف الظاهر للكرامة الاجتماعية؛ والذي يحمل دلالات الخلاص الاجتماعي، لا يكفي لتفسير الظاهرة كما ينبغي، كون الكتابة تخضع لذاتية المؤلف بأي شكل من الأشكال، فقد استطاع أصحاب المناقب تمرير ميولاتهم السياسية وطموحاتهم عن طريق الكرامات وهذا "يضع الكرامة في أطر محدودة مضبوطة الوظيفة تختفي فيها الميول السياسية لهؤلاء وطموحاتهم ومصالحهم التقليدية التي هي استمرار لمصالح بيوتاتهم"[1]، ومن هذا الطرح نفترض أن الكرامة الاجتماعية، خاصة ما تعلق منها بصنف كرامات إغاثة المظلومين واقرار الأمن داخل المجتمع، والتي تعتبر من الوظائف الاجتماعية التي لاقت رواجا واسعا في مدونة المناقب الزيانية، قد استغلت في مآرب تخدم مصالح وميولات أصحاب المناقب.

ومن ذلك ما ساقه ابن مرزوق الخطيب من فترة حكم السلطان أبي تاشفين (718هـ – 737هـ/ 1318م – 1335م) من كرامات، كرد فعل ضد سياسة الظلم والاستبداد التي ميّزتها فترة حكم أبي تاشفين، حسب الخطاب المنقبي، ومن الشواهد على ذلك أن يحي بن إبراهيم بن علي العطار كان عاملا ظالما استطاع أن يقنع السلطان أبي تاشفين بهدم العباد وضريح أبي مدين، وذلك أن الفارين من دفع الضرائب التجار كانوا يختبئون بالعباد، وتهرب أصحاب البساتين المجاورة لمحيط الضريح عن دفع الضرائب أيضا، ولأجل ذلك جمع الناس ليبلغهم بما يعتزم القيام به، فلقي استنكارا شديدا من كافة الناس، فما كان من الصوفي أبا العباس أحمد بن مرزوق إلا أن دعا عليه بالموت "ميتة تتحدث بها مشارق الأرض

[1] بونابي الطاهر: **عصر المتصوفة**،ج4/ ص221.

ومغاربها" ، فكان من شأن ذلك أن حاصر السلطان المريني أبو الحسن تلمسان سنة 737هـ/ 1335م ، وعاقب يحي بن ابراهيم العطار بقذفه من المنجنيق[1].

وفي رواية مشابهة أن يعلى بن منصور عامل تلمسان كان يفرض المكوس ويجبر الناس على دفعها بمشقة كبيرة، وتعرض في ذلك لأهل العباد، ما جعل أحمد بن مرزوق يتوجه إلى الله بالدعاء عليه بقوله :" اللهم اجعل حتفه على يد نفسه"، فلم تمض أيام حتى طلبه السلطان أبو تاشفين وضربه بخنجر تحت خاصرته فخرجت أمعاؤه ومات[2].

وفي مشهد من مشاهد الظلم والاستبداد، بنى السلطان أبو تاشفين شرفة تطلّ على دار المرازقة ومن جاورهم من الأهالي، وما يلحق ذلك من أذى على جيرانه؛ فكان ردّ فعل أبي العباس أحمد ابن مرزوق أن أبدى استنكاره لهذا الفعل وأن السلطان لن يهنأ بهذه الشرفة وأنه سيظل " في نكد حتى ينقضي عمره ولا يسرّ فيه أصلا"[3]، في إشارة إلى استيلاء أبو الحسن المريني بعد ذلك على ملك أبي تاشفين[4].

ومن خلال هاته الروايات، جاء الخطاب الكرامي مرافعا لصالح المجتمع، رافضا أشكال المغارم والمكوس والظلم التي طبعتها فترة حكم أبي تاشفين، غير أن هذه الصورة السوداوية التي حاكها ابن مرزوق الخطيب، تبدو ظاهرية فقط ، ولكنها تكشف عن ذاتية عالية لابن مرزوق الخطيب في ادانته لحكم أبي تاشفين، ليبرر ويبيض حكم من أتي بعده، ويقصد بذلك السلطان أبي الحسن المريني الذي صار الخطيب في عهده من المقربين، وحظي معه

[1] ابن مرزوق الخطيب: **المناقب المرزوقية**، ص228 – 229.

[2] نفسه، ص 229.

[3] ابن مرزوق الخطيب: **المناقب المرزوقية**، ص 229– 230.

[4] بونابي الطاهر: **عصر المتصوفة**، ، ج 4 / ص 824.

بيت المرازقة بالتكريم والتشريف وتسليمهم شؤون ادارة العباد ونظارته، باعتباره محجة أهل المغرب والمشرق حسب الطاهر بونابي[1]

كما أنه يظهر عمل ابن الخطيب في تبييض نشاط أبي الحسن المريني في كتابه "المسند الصحيح الحسن في مآثر أبي الحسن" حيث أشاد بمنجزاته العمرانية بتلمسان ، كما أنه ركز على التشهير بإلغائه الوظائف والمغارم والمكوس، وبالتالي في مقاربة واضحة بين مرحلتين متمايزتين[2]، ومن هنا يظهر أن نص الرواية الكرامية قد استغلت في أغراض سياسية وميولات شخصية لمؤلفي المناقب.

وعلى نهج ابن مرزوق الخطيب، سار ابن القنفذ(ت810هـ/1407م) وحاول تغليف ميولاته السياسية وحفاظا على مصالح بيوتاتهم الأسرية بطابع كرامي؛ يحمل في ظاهره دلائل الخلاص الاجتماعي وحلولا لأزمات اجتماعية، ومن ذلك الرواية الكرامية التي ساقها ابن القنفذ القسنطيني عن التقاء الصوفي أبي الهادي مصباح بن سعيد الصنهاجي بالسلطان أبي الحسن في نواحي قسنطينة أثناء قيامه بحملته الشهيرة على تونس سنة 749هـ/ 1348م وفيها نصح أبو الهادي السلطان بالعودة والعدول عن غزو افريقية لكن السلطان رفض طلبه، وعندها توجه أبو الهادي إلى الله في السلطان الذي انكسرت حملته وأصيب بخيبة أمل بفعل كرامة أبي الهادي[3] .

ومن الرويات التي ساقها ابن القنفذ القسنطيني، التي تعكس قدرة الصوفي في رد العدوان والظلم التي يصيب المجتمع ويهدد أمنهم، وذلك أن السلطان المريني أبي عنان وجه حملة إلى قسنطينة وحاصرها سنة 758هـ/ 1356م وقام بقطع الماء عن المدينة حتى اشتدّ العطش بالناس، أين لجؤوا إلى الصوفي علي بن مخلوف والذي دعا الله فأرسل المطر

[1] **عصر المتصوفة**، نفسه، ص 825 .

[2] بونابي: نفسه، 825.

[3] ابن القنفذ: **أنس الفقير**، ص 51.

وخربت سيولها سد أبي عنان مما اضطره إلى إبرام الصلح حيث دخل المدينة ثم رحل عنها[1]، وما يعكس ميل ابن القنفذ إلى الحفصيين ضد المرينيين، هو اقراره بكرامة أبي الهادي كسبب رئيسي في انهزام أبي الحسن وسكوته عن ظروف أخرى كانت سببا في الهزيمة، على غرار الطاعون الأسود والعرب الهلالية التي لعبت دورا في الايقاع بأبي الحسن، وقد سار على منوال والده الحسن الخطيب وجده الملاري في ميلهم للحفصيين والانتصار لهم[2].

وأثناء الحصار الطويل الذي فرضه السلطان المريني يوسف أبي يعقوب سنة (698هـ – 706هـ/ 1298م – 1306م) تحرك الصوفي أبو زيد الهزميري من أغمات إلى تلمسان وطالب السلطان بإنهاء الحصار" ولما يئس منه قام مغاضبا وقال يجيئ سعاد يقضي هذا" وانصرف مغربا، فلما كان يوم الأربعاء ذي القعدة سنة 706هـ/ 1306م دخل الخصي سعاد على يوسف بن يعقوب وهو نائم وطعنه في بطنه[3]، ولتأكيد ذلك يصف ابن القنفذ حالة الانتصار التي كان عليها الهزميري بعد دعائه على السلطان" فرجع إلى فاس ونزل بجامع الصابرين... فبعد أيام قتل السلطان أبو يعقوب وغرب جيشه بسلطان آخر، فقال له خديمه ظنا منه أنه ما أقام إلا ليرغب الله في الفرج: مات السلطان أبو يعقوب ففرج الله على أهل تلمسان فبسم الله نأخذ في الحركة"[4]، والملاحظ أن الرواية الكرامية جعلت من وعيد الهزميري سببا قويا في إنهاء الحصار وبالتالي إنهاء المعاناة على أهل تلمسان[5].

اذن يستشفّ من هذه الروايات الكرامية؛ أنها وقفت ضد كل أشكال التعدي والظلم التي سلطها المرينيين على انسان المغرب الأوسط، غير أن هناك أسباب خفية جعلت ابن القنفذ

---

[1] ابن القنفذ: نفسه، ص 47 – 51 .

[2] بونابي الطاهر: **عصر المتصوفة**، ، ج4/ ص 823.

[3] التنسي: المصدر السابق، ص 133– 134.

[4] ابن القنفذ: **أنس الفقير**، ص 70.

[5] بونابي الطاهر: **عصر المتصوفة**، ص 823.

يتفاعل مع هذه الأحداث؛ لأن ولاءه للحفصيين أعداء المرينيين، وبالتالي تشهيره بمزالق المرينيين وأخطائهم وانتقاد سياستهم الغاشمة ، وهو في نفس الوقت ترويج لعدل الحفصيين وسياستهم ، وهذا ما جعله يؤلف كتاب" الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، حيث سعى من خلاله إلى غض الطرف عن كل ما يشين الدولة الحفصية وابراز كل مناقبها، وخاصة منها ما اتصف به أبو فارس عبد العزيز المتولي حكم الامارة (من سنة 796هـ/1394م إلى 839هـ/ 1434م). الذي ألّف خصيصا لأجله.

وبالإضافة إلى الميولات السياسية والمصالح الشخصية التي حاول أصحاب المناقب، تمريرها عبر الكرامات الاجتماعية ؛ يظهر تأثر الطرف الراوي بهذه الروايات[1] كابن صعد والمازوني.

فقد كان المازوني يزور صلحاء وادي الشلف ويتبرك بهم، حيث أنه استشفع إلى الله بالولي أبو البيان سيدي واضح في تفريج كربته وإنقاذ رحلته و قد لقي برد الاجابة في قوله :" فأذاقني برد الاجابة لوقتي"[2]، وأثناء زيارته للصوفي علي بن عبو(من علماء القرن 8هـ/ 14م) قال :" رأيته مرارا وتبركت به وسألته في الدعاء فدعا لي"[3]، وهذا التأثر والاعتقاد في كرامة الأولياء سيؤثر حتما على الرواية الكرامية، من ناحية المبالغة في سرد الكرامات، بينما أعلن ابن صعد أكثر من مرة اعتقاده في الصوفية[4].

ومن هذه النماذج؛ يبدو لنا أنه لا يمكن حصر أهداف وغاية الكرامة الاجتماعية في محاولتها بناء مجتمع خالي من التناقضات الطبقية وحماية المستضعفين من جور السلطة وكل أشكال التعدي والظلم وفقط، حسب ما ذهب إليه ابراهيم القادري بوتشيش[5]، لأن نص

---

[1] نفسه، ص 827.

[2] المازوني : المصدر السابق، 249.

[3] نفسه، ص 454.

[4] ابن صعد : **روضة النسرين**، ص 224.

[5] بوتشيش: "**الخطاب الاجتماعي**"، ص 109– 110.

الكرامة الاجتماعية جاء مشحونا بأفكار وتوجهات مؤلفيها؛ فقد روّجوا لظاهرة العنف السياسي في الكرامة خدمة لميولاتهم السياسية ومصالحهم الشخصية على شاكلة ابن مرزوق الخطيب وابن القنفذ القسنطيني، وبالتالي أصبح للكرامة غايات متعددة صنعتها توجهات وميول أصحاب المناقب، وبالتالي لا يمكن أن نركن لظاهر الرواية الكرامية واغفال ذاتية المؤلف، كونها تلعب دورا محوريا في صياغة الرواية وربما تساهم في صناعتها، وهذا لا يعني أن توضع الرواية الكرامية ضمن خانة الخرافة والوهم، كما أنه لا يعني إلغاء الكرامة كحدث تاريخي "... وإنما هو استغلال لها في تحقيق المآرب"[1].

[1] بونابي الطاهر: **عصر المتصوفة**، ج4/ ص 825.

خاتمة

من خلال معالجتنا لموضوع "الخطاب الاجتماعي للكرامة الصوفية في مدونة المناقب الزيانية"، توصلنا إلى العديد من النتائج أهمها:

أن الكرامة في بعدها الاجتماعي، لعبت دورا بارزا في مختلف مناحي الحياة المتصلة بشؤون المجتمع، حيث عبرت عن حاجة المجتمع إلى الطعام، ورغبته في العلاج ورغبته في الأمن، وكل ضروريات الحياة المادية، وأن الكرامة في بعدها الاجتماعي صورة عاكسة لمختلف التوترات الاجتماعية ومشكلات المجتمع وأزماته وخطابها المعلن؛ يحمل سمات الخلاص الاجتماعي، حيث تعد الظروف التاريخية الصعبة هي السياق العام لنمو الكرامة الاجتماعية؛ حيث شهد العصر الزياني أزمات على كل المستويات؛ ففي الجانب السياسي واجهت الدولة الزيانية صراعات حربية مع جيرانها الحفصيين والمرينيين، كان من نتائجها في بعض الأحيان أن سلبت الدولة سيادتها وختمها ؛ كما شكلت الصراعات الداخلية التي غالبا ما تحدث نتيجة الصراع حول السلطة حالة الفوضى والهلع داخل المجتمع؛ بالإضافة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحالة السياسية والأمنية، فقد تضرر المجتمع من جراء المجاعات المتكرر نتيجة الحروب والحصر.

ومن هنا شكلت الأزمات هاجسا ظل يؤرق المجتمع طيلة العصر الزياني، ونتيجة ما كان يشاع عن فاعلية الأولياء في انهاء الأزمة ، بالأداء الكرامي ، وجد الفرد الزياني في الكرامات ملجأه الآمن وسلواه التي يستأنس بها.

أما في محاولة الوصول إلى البنية المشكلة لنص الكرامة الاجتماعية من خلال مدونة المناقب الزيانية، فقد توصلت إلى أن نص الكرامة الاجتماعية حاول امتصاص الكثير من آليات الأجناس الأدبية المختلفة، ومن ذلك وجود مؤشرات تدل على استعارة آلية نقل الحديث النبوي الشريف، من خلال سعي أصحاب المناقب في نقل رواياتهم الكرامية، من طرف أشخاص تربطهم قرابة دموية بالباث، أو قرابة مذهبية وكذا ذكرهم أسماء الرواة- (رواة الكرامة الاجتماعية)؛ وكل هذا سعيا وراء ابعاد الشكوك عن القارئ واعطاء مصداقية

لرواتهم، كما استعاروا آليات من الأدب على غرار؛ السرد المطول للروايات، واضفاء عنصر التشويق والمفاجئة على الرواية الكرامية.

كما تبين لي من خلال قراءة في مضمون الكرامة الاجتماعية من خلال مدونة "صلحاء وادي الشلف "للمازوني (ت 833هـ/ 1429 م)، أنها احتوت كرامات اجتماعية على غرار؛ كرامات الاستسقاء وكرامات اطعام الطعام وابراء المرضى، واحتلت كرامات إغاثة المظلومين الحيز الكبير من الكرامات الاجتماعية؛ يفسره الوضع السياسي وما صحبه من فتن خارجية وداخلية، أحدث فراغا على مستوى هرم السلطة وسمح بنمو سلطة الأمراء وشيوخ القبائل، وقد كان للوضع انعكاسات سلبية على المجتمع أن أصبح يعاني الخوف ويعاني من غياب الأمن.

ومن منظور أن نصوص الكرامة الاجتماعية، ليست مجرد نصوص خرافية؛ توصلت إلى أن هناك لمسة عقلية أو طابع عقلاني لأصحاب المناقب، فقد سلكوا في سردهم لكرامات الأولياء مسلك العقل والمنطق، عندما لم يقحموا كرامات الأولياء في مواقف فوق قدرة الولي واستطاعته، فمثلا: لم يقحموا كرامات الأولياء في علاج الأمراض الوبائية كونها فوق قدرة الولي، ناهيك على مقاصد الكرامة الاجتماعية، التي ظهر لي من خلالها، أنه لا يمكن الاكتفاء بالمقصد والهدف الظاهري للكرامة، بل ضرورة البحث في مضمرات الخطاب كونه يتغذى من ذاتية المؤلف، وبالتالي يمكن أن تستغل الكرامة في مآرب ومصالح أصحاب المناقب.

- و ظهر لي من معالجة غايات ومقاصد الكرامة الاجتماعية، أنه لا يمكن الاكتفاء بالمقصد والهدف المعلن للكرامة، بل ضرورة البحث في مضمرات الخطاب كونه يتغذى من ذاتية المؤلف، بحيث تختفي وراء الخطاب الكرامي ميولات ومصالح مؤلفي المناقب، وبالتالي يمكن أن تستغل الكرامة في مآرب أخرى.

.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

- القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

- **أولا / المصادر :**

1) ابن الأحمر، أبو الوليد اسماعيل بن يوسف الغرناطي(ت810هـ/ 1408م):

- **روضة النسرين في دولة بني مرين(طبع باسم تاريخ الدولة الزيانية)**، تح: هاني سلامة، ط1، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية- مصر، 1421هـ/2001م.

2) ابن أبي زرع، علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي عمر الفاسي(ت726هـ/ 1326م):

- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

3) التنسي، محمد بن عبد الله(899هـ/1493م) :

- **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر،2011.

4) التّنبكتي، أحمد بابا(ت 963هـ/1036م):

- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، اشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية العلوم الاسلامية، طرابلس – ليبيا، 1398هـ / 1989م.

5) ابن خلدون، أبو زكرياء يحي (ت 780هـ/1378م):

- **بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ج02.

6) ابن خلدون، أبوزيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م):

- **العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان ، 2000.

- **المقدمة**، مراجعة : سهيل زكار، وضبط متنها ووضع فهارسها: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1431هـ/ 2001م.

7) ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني(ت 781هـ/ 1379م):

- **المناقب المرزوقية**، تح :سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة الغربية، 2008م.

- **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/ 1981م.

8) ابن رشد محمد بن محمد(الجد)(ت520هـ/1126م) :

- **فتاوى ابن رشد**، تح: مختار ابن الطاهر تليلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، 1987م،ج1.

9) الزركشي، أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم(ت894هـ/1488م) :

- **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تح: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة،تونس،1966.

10) الزمخشري:

- **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود،ط1،منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت .

11) -ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي(ت 617هـ/ 1220):

- **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح : أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح – الدار البضاء، 1997م.

12) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري(ت 1315هـ/ 1887م):

- الاستقصا **لأخبار دول المغرب الأقصى- الدولة المرينية**، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء- المغرب، 1954م، ج3.

13) ابن صعد، محمد الأنصاري التلمساني (ت 901هـ/ 1495م):

- **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تح : يحي بوعزيز، طبعة خاصة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2009م.

- **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، دراسة وتحقيق: بلحاج محمد، مذكرة ماجستير في الحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران،2007م- 2008م، ج01.

14) العبدري، محمد البلنسي (ت 720هـ/ 1325م):

- **الرحلة المغربية**، تقديم : سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة- الجزائر، 2007م.

15) العقباني، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني(ت 871هـ/1467م):

- **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تح: علي الشنوفي، المعهد الفرنسي، دمشق، 1967.

16) ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (1089هـ/ 1678م):

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – لبنان ،1413هـ/ 1996م، ج8.

17) ابن القنفذ، أبو العباس أحمد الخطيب (ت810هـ/ 1407م):

- **أنس الفقير وعز الحقير**، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، د.ت.

18) المازوني، أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي (ت833هـ/ 1478م):

- **صلحاء وادي الشلف** ، تح : غرداوي نور الدين، منشورات دار الخلدونية، الجزائر، 2017م.

19) ابن مريم المديوني، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد:

- **بستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح: ابن ابي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

20) الملالي، أبو عبد الله محمد بن عمر التلمساني(كان حي سنة 897هـ/ 1491م) :

- **المواهب القدسية في المناقب السنوسية**، تح: علال بوربيق، ط01، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة- الجزائر، 2011م.

21) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري(ت711هـ/1311م):

- **لسان العرب**، تح: عامر أحمد حيدر، عبد ال منعم خليل ابراهيم، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت.

22) الوزان، الحسن بن محمد الفاسي(ت947هـ/1550م):

- **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط02، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، 1983م، ج02.

23) الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي(ت 914هـ/1511م):

- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أشرف على تحقيقه: محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية للمملكة المغربية،1401هـ/1981م،ج2.

24) - ياقوت الحموي، ، شهاب الدين محمد بن عبد الله (ت 626هـ/1228م)

- **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت- لبنان، 1397هـ/1977م،ج5.

ثانيا / المراجع :

1 – كتب :

1) بوتشيش، ابراهيم القادري:

- **تاريخ الغرب الاسلامي- قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**،ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1994.

- **الإسلام السري في المغرب العربي**، ط1،سينا للنشر، القاهرة-جمهورية مصر العربية،1995.

2) بونابي، الطاهر:

- **عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط- دراسة في الحركة الصوفية خلال العصر الوسيط، من القرن 08هـ/14م إلى نهاية القرن 09 هـ/15م**، منشورات كلية العلوم الانسانية، جامعة المسيلة ، الجزائر،2017.

- **التصوف في الجزائر خلال القرنين6و7الهجريين/12و13الميلاديين-نشأته- تياراته- دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة-الجزائر.

- **مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**، منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف،المسيلة-الجزائر،2017.

3) بولقطيب، الحسين :

- **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، [2002م].

4) حساني مختار:

- **تاريخ الدولة الزيانية**، منشورات الحضارة، بئر توتة – الجزائر ،2009م،ج01/ج02.

5) دحمور، منصور بختي:

- **ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع** المغرب **الأوسط فيما بين القرنين (06و09 للهجرة /12و15 للميلاد)**، ط01، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق- سورية، دبي – الإمارات العربية المتحدة، 2017م.

6) زيعور، علي:

- **الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم- القطاع اللا واعي في الذات العربية**- ط02،دار الأندلس للنشر والطبع والتوزيع، بيروت- لبنان، 1984.

7) سعاد الحكيم:

- **المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة**، ط1، منشورات دندرة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1981م.

8) شغموم، ميلودي:

- **المتخيل والقدسي في التصوف الاسلامي الحكاية والبركة**، منشورات المجلس البلدي، مدينة مكناس- المغرب، د.ت.

9) بن عتو، عبد الله:

- **أدب الكرامات من ميثاق الثقة إلى خطاب التماهي** ، دار الأمان، الرباط، 2014م.

10)فيلالي، عبد العزيز:

- **تلمسان في العهد الزياني- الأوضاع الداخلية للدولة الزيانية**، موفم للنشر والتويع- الجزائر، 2002.

- **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط** ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2014م.

11) لطفي، عيسى:

- **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ** ، دار سيراس للنشر ، 1993.

12) ننلي سلامة العامري:

- **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي**،ط2، دار الفارابي، بيروت–لبنان، 2006.

2- المقالات:

- أحمد توفيق:" **تاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى**" ضمن كتاب التاريخ وأدب المناقب، الملتقى الدراسي، الرباط 08- 09أفريل 1988م، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطبعة عكاظ، 1989.

1) بوتشيش، ابراهيم القادري: " **الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصر المرابطين والموحدين**"، **ضمن كتاب جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطية في العصر الوسيط**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة مولاي اسماعيل، مكناس- المغرب، 1991.

2) بوعزيز، يحي :

-"**المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية (1236م/1554م)**"،**مجلة الأصالة**،ع26-40، منشورات وزراة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، د.ت.

3) بلعربي، خالد:

-" **المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698هـ-845هـ/1299م-1307م)**"، دورية كان التاريخية ،العدد الرابع، يونيو، 2000م.

4) بوداود، عبيد:

- " **تقديم مخطوط صلحاء وادي الشلف لموسى بن عيسى المازوني**"، حولية المؤرخ، العدد، 13- 14، السداسي الثاني 2011م.

5) بونابي، الطاهر:

- "**أهمية المخطوطات المناقبية في كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي والفكري للمغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، 2004-2005م.

6) عموري، عبد العزيز:

- "**المضمون الاجتماعي في الكرامة الصوفية**"، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، د. ت.

7) لدرع، أمال:

- "**الخطاب المنقبي وصياغة الحدث التاريخي "غياب الأمن" غزو تلمسان وحصاراتها خلال العهد الزياني أنموذجا** "، مجلة منتدى الأستاذ، العدد الثامن عشر، المدرسة العليا للأساتذة- قسنطينة، 2016م.

3- الأطاريح :

1) بركات، اسماعيل:

- **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، دراسة وتحقيق: الجزء الأول، من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري- قسنطينة، 1430هـ-1431هـ/ 2009- 2010م.

2) بلحاج، محمد:

- **مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، دراسة وتحقيق: الجزء الأول، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران- الجزائر، 2007م- 2008م.

3) حكيم، ميلود:

- **الكرامة الصوفية في منطقة تلمسان دراسة أنتروبولوجية – سيميائية من خلال مدونة ابن مريم "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، معهد الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر، 1997م- 1998م.

4) محمد، مفتاح :

- **التيار الصوفي والمجتمع في اللأندلس والمغرب اثناء القرن 8هـ/ 14م**، أطروحة دكتوراه دولة، اشراف: محمد اركون، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1980م/1981م.

5) مزدور، سمية:

- **الأوبئة والمجاعات في المغرب الأوسط(588هـ - 927هـ/ 1192م- 1520م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: محمد الأمين بلغيث، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، جامعة منتوري- قسنطينة، 1429هـ

فہارس

فهرس الأعلام

- أ -
- أحمد العاقل، ص21 ،22.
ابن أبي زرع، ص25.
- ابن الأحمر، ص29.
- الحسن أبركان ، ص40، 42،67. 71.
- ابراهيم بن ردان، ص41، 45.
- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير ابن زاغو المغراوي التلمساني، ص34،69.
- ب -
- بوتشيش القادري، ص 74،80.
- بونابي الطاهر ص77.
- أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ص61.
- ت -
- التفريسي، ص34.
- التنسي، ص 22، ص23.
- التازي ابراهيم ، ص 42.
- أبو تاشفين، ص 76، 77.
- محمد بت تومرت، ص44
- ج -
- أبو زكريا الجذاوي الأقرع، ص52.
- ح -
- احمد الحصيني، ص45.
- محمد بن الحمراء، ص 17، 18.
- أبو الحسن، ص77،78.
- الحسن الوزان،ص25.
- الحسن الخطيب، ص77.
- أبو مالك عبد الواحد، ص 17، 18.
- حدوش بن تيرت العبد الوادي، 73.
-
- خ -
- ابن خلدون عبد الرحمان، ص 16،19،31، 25،27، 28، 65.
- ابن خلدون يحي، ص30، 65،67.
-
- ابن مرزوق الخطيب، ص18، 27، ص32. 39، 41،76،77.
- ر-
- ابن رشد الجد، ص11.
- ز -
- أبا زيد بن يعقوب الصنهاجي، ص32.
- أبو زيان محمد الثاني، ص20.
- أبو زكرياء، ص45.
- الزمخشري، ص10
- أبو زكرياء، ص 16، 17.
- س -
- محمد بن يوسف السنوسي، 42،64، 67.
- أبو عبد الله السنوسي، ص 42،44.
- ع -
- علي زيعور، ص48.
- أبو العباس ابن مرزوق، ص67.
- عثمان بن يغمراسن، ص 63.
- عثمان بن موسى بن المسعود العامري، ص42.
- أبو عبد الله محمد بن يحي بن أبي يحي، ص38.
- أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق، ص41،46.
- أبوعبد الله المتوكل، ص22.
- ابن عرفة، ص 23.
- العقباني، ص27.
- عمر بن موسى، ص22.
- عبد الله بن عثمان، ص22.
- إبراهيم بن علي العطار، ص 76.
- العقباني محمد بن أحمد، ص23،69.
- العبدري، ص63.
- أبو عمر عثمان، ص 23.
- سيدي عزوز، ص50،57.
- علي بن عبو، ص 70.
-
- أبو محمد عبد الواحد، ص17.
-

- محمد بن عبد القوي، ص 39، 70.
-
أبوعبد الله محمد المستعين، 22ص.

- غ -

- حسن الغماري، ص 23، 72.

- ف -

- ابن فرغوس التلمساني، ص 66.
- أبو فارس، ص 17،21، 71،79.

- ق -

- ابن القنفذ، ص 11، 31، 78، 79.
- أبو العباس بن القطان، ص 41.

- م -

- الماواسي، ص69،72.
- موسى بن عثمان الزياني، ص70.
- موسى بن محمد، ص22.
- محمد بن العباس بن محمد بن عيسى
- أبو موسى أخو أبوزيد، ص70.
- ابن مريم المديوني ،73.
- المازوني، 48، 49، 50،51، 52، 56، 58.

- أبو عبد الله محمد بن عمر الملالي ص42،68.

أبو العلاء المديوني، ص 66.

- هـ -

- أبو الهادي، ص 78.
- أبو هريرة رضي الله عنه، ص61.
- الهزميري، ص62، 70.
- محمد بن عمر الهواري، ص42،

- و -

- سيدي واضح، ص 40،50،52،51، 54، 55،56، 70،80.

- ي -

- يحي بن عبد الله محمد بن عبد العزيز، ص74.
- أبو يعقوب(الولي)، ص 54،57.
- يعلى بن منصور، ص76.
- أبو يحي يغمراسن، ص 16. 41
- يوسف ابي يعقوب، ص 18، 25، 79.

فهرس الأماكن

- أ -

أغمات، ص 78.

- ب -

- مدينة بجاية، ص16.

- ت-

- تلمسان، ص16،17،18،58،51،69.

- تيزي أن يغمراسن، ص 57.

- ح -

- حاحة، ص 65.

- د -

- دكالة، ص65.

- ر-

- وادي رهيو، ص. 70،50،56.

- ش-

- وادي الشلف، ص48، 49، 52،66.

- ط -

- طروادة، ص19.

- ع -

عبدة، ص65.

- العباد، ص 76.

- م -

- مكناسة، 58، 70.

- المغرب الأوسط، ص14.

- مازونة، ص 18، 54،

- مستغانم، ص18.

- ملیانة، ص18، 22.

- و-

وهران، ص65،

- جبل وافرشان، ص 51،44.

فهرس الآيات

السورة	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
الشورى	﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُو الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾	26	57
البقرة	﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	155	27

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
الإهداء	
الشكر والعرفان	
المقدمة	أ–ط
الفصل الأول الكرامة الاجتماعية مفهومها وظروف نموها	
المبحث الأول : ماهية الكرامة و الكرامة الاجتماعية	10
أولا : لغة	10
ثانيا: إصطلاحا	11
ثالثا: مفهوم الكرامة الاجتماعية	12
المبحث الثاني : الظروف التاريخية لنمو الكرامة الاجتماعية خلال العهد الزياني	14
أولا : الأزمات السياسية	15
ثانيا : الصراعات الداخلية وغياب الأمن	20
ثالثا : الظروف الاقتصادية والاجتماعية خلال العهد الزياني	24
الفصل الثاني : بنية ومضمون الكرامة الاجتماعية	
المبحث الأول : البنية النصية للكرامة الاجتماعية من خلال مدونة المناقب الزيانية	36
أولا: آليات الحديث النبوي الشريف	37
ثانيا : آلية الأدب	46
المبحث الثاني : قراءة في مضمون الكرامة الاجتماعية – مدونة صلحاء وادي الشلف انموذجا .	48
أولا : كرامات الأولياء في مواجهة الأزمات الطبيعية	49
ثانيا : كرامات إغاثة المظلومين وتأمينهم من الخوف	56
الفصل الثالث : القراءة العقلانية لنص الكرامة الاجتماعية	
المبحث الأول : الطابع العقلاني في نص الكرامة الاجتماعية	60

أولا : كرامات انزال الغيث	60
ثانيا : كرامات ابراء المرضى	65
ثالثا : كرامات إغاثة المظلومين وتأمينهم من الخوف	69
المبحث الثاني : غاية ومقاصد الكرامة الاجتماعية	73
أولا : الكرامة والمجتمع المتكامل	73
ثانيا : الكرامة الاجتماعية وذاتية المؤلف	75
خاتمة	81
قائمة المصادر و المراجع	84
الفهارس	
فهرس الآيات	93
فهرس الأعلام	94
فهرس الأماكن	96
فهرس المحتويات	97

.